



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الوادي



قسم: تاريخ العام

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

الحركة العلمية والثقافية بالدولة الرستمية

(160 - 296 هـ)، (777 - 909 م)

مذكرة مكملّة لنيل شهادة الليسانس في تاريخ العام "L.M.D"

إشراف الأستاذ :

- عمار غرايسة

إعداد الطلبة :

- إسمهان شريط

- مريم مقدود

- إيمان شتحونة

- نزيهة فرحات

- حنان طليبة

- ياسين يحياوي

- زينب بوصبيح صالح

- شروق باي

- مارية دقاشي

السنة الجامعية: 1434. 1435 هـ / 2013. 2014 م

شكر وعرفان

مصدقاً لقوله تعالى

"وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك

ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك

ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

الله جل في علاه

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهوداً كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد...

"كن عالماً... فإن لم تستطيع فكن متعلماً، فإن لم تستطيع فأحب العلماء، فإن لم تستطيع فلا تبغضهم.

وأخص بتقديم أسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان إلى الأستاذ المشرف

"عمار غرايسة"

الذي بذل من الجهد الكثير رغم انشغالاته العلمية المختلفة

إلا أن صدره كان أرحب من كل هذا، وأسهم في توجيه مسيرة هذا البحث حتى استوى على سوقه.

كما نتوجه بالشكر الخالص:

إلى عمال مكتبة زاوية سيدي سالم وعمال متحف المجاهدين الذين لم يخلوا في تقديم المساعدة لنا من توفير المصادر والمراجع اللازمة.

وإلى من زرعوا التفاؤل في دربنا وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات والأفكار والمعلومات ونخص بالذكر: هاجرة خشانة و عفاف صابر و منية مسعودي

كما لا ننسى طاقم المميزون للإعلام الآلي والتوزيع "نور و السعيد"

إلى جميع الأساتذة الكرام في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

بقسم التاريخ

و إلى كل من أسدى إلينا نصحا أو نبها عن خطأ أو أعاننا في شيء مما قل أو كثر...

والفضل فوق كل هذا لخالقنا

فنسأله أن يتقبله منا خالصا لوجهه الكريم.

مجموعة البحث

مُقَلَّمَةٌ

مقدمة

شهدت الدولة الرستمية ازدهارا ملفتا خلال فترات العصور الوسطى نتيجة التطور الكبير الذي عرفته في جميع المجالات وكان أبرزها الجانب العلمي والثقافي الذي أثر بشكل كبير على الدول الإسلامية الأخرى مما جعلها تحظى بمكانة مرموقة. وهو ما كان وراء اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم بـ: **الحركة العلمية والثقافية بالدولة الرستمية (160 - 296هـ)، (777 - 909م).**

دوافع اختيار الموضوع

- توافق الموضوع مع طبيعة ميولنا العلمية.
- قلة الدراسات في المجال العلمي والثقافي في الدولة الرستمية.
- محاولة إثراء المكتبة بمثل هاته المواضيع التي تفتقر إليها.

طرح الإشكال

إن اهتمام الدول الرستمية في الحياة العلمية من حيث تشجيعها على العلوم والاهتمام بها، قد جعلها تحظى بمكانة لا تفتقر وكان ذلك وراء إثراء في الحياة الفكرية والحراك العلمي بمختلف أنحاء الدولة.

وانطلاقا من ذلك يمكننا أن نتساءل عند أي مدى بلغت الحركة العلمية والمستوى الثقافي بالدولة الرستمية وما مدى استفادتها وإفادتها لغيرها في هذا الجانب.

أما الأسئلة الفرعية فيمكننا إيرادها على النحو التالي:

- ما أهم ملامح الحركة العلمية للدولة الرستمية؟
- ما أبرز العوامل التي ساهمت في إثراء الحياة العلمية الرستمية وأبرز العناصر الفاعلة فيها؟

- ما مدى التواصل الفكري والحضاري للدولة الرستمية مع باقي الكيانات السياسية الأخرى؟

المنهج المعتمد

لقد اعتمدنا في انجاز هذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي الذي رأيناه بحسب مقتضى الموضوع يتناسب مع سرد الأحداث والوقائع التاريخية.

تقسيمات الموضوع

ومن أجل دراسة وافية للموضوع قمنا بتقسيمه إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

تناولنا في المدخل لمحة تاريخية عن الدولة الرستمية تمهيدا للموضوع وعن المذهب الإباضي ووصوله لبلاد المغرب، أما الفصل الأول فقد تحدثنا فيه عن المؤسسات التعليمية وأبرز العلماء التي ظهرت زمن الدولة الرستمية وكان بها اهتمام واضح واشتغال من قبل الأعلام، أما الفصل الثاني فقد عرجنا على استبيان أهم عوامل ازدهار الحركة الثقافية بالدولة الرستمية وكذا تواصلها في ذات الإطار بدول الجوار.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة

حاولنا الإحاطة بأهم المصادر الإباضية منها على وجه التحديد لاعتبار كونها الأقرب للموضوع محل الدراسة كان على رأسها سيرة الأئمة وأخبارهم للشيخ أبي زكرياء والذي أفادنا بواقع ما كان عليه الأئمة الرستميين من اهتمام ودعم الحركة العلمية.

يضاف إلى جانب ذلك مؤلف ابن الصغير المالكي وكتابه أخبار الأئمة الرستميين حيث أفادنا في تتبع أخبار أئمة بني رستم كون ابن الصغير معاصرا لهم وهو ما يضيفي على المؤلف قيمته التاريخية.

إلى جانب ذلك أفادنا الدرجيني وكذا الشماخي بمؤلفيهما في الوقوف على أهم الجوانب ذات الصلة بالحياة الفكرية بالدولة الرستمية.

أما عن المراجع فان سندا المعتمد كان المؤلف الدكتور بحاز عن الدولة الرستمية لما اتسم به من إحاطة غطت الجوانب الرئيسية للموضوع محل الدراسة إضافة لكتابات المتخصصة عن الدولة الرستمية الواردة في ثنايا الموضوع.

الصعوبات

رغم وفرة المصادر التي تناولت الفترة التاريخية إلا أن ما واجهنا في ذلك هو شح المادة التي تناولت الجانب الثقافي والفكري مما اضطرنا إلى إعمال العقل للوصول إلى أهم استنتاجات ذات الصلة في بعض الحالات اعتماد المراجع بصورة كبيرة.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر لله سبحانه وتعالى الذي وفقنا في
انجاز هذا العمل وإلى الأستاذ المشرف الذي لم يخل علينا بنصائحه وإرشاداته وإلى
كل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

مدخل

لمحة تاريخية عن نشأة الدولة الرستمية

I- دخول المذهب الإباضي للمغرب

II- نشأة الدولة الرستمية

III- علاقتها الخارجية

IV- سقوطها

I - دخول المذهب الإباضي للمغرب

إن بروز وظهور المذهب الإباضي في المغرب يعود إلى فرقة الخوارج¹ والذين خرجوا عن سيدنا علي "كرم الله وجهه" وأرادوا إنشاء إمامة إباضية لتعزيز مذهبهم²، وتتسبب الإباضية إلى عبد الله بن أباض التميمي³ الذي لم يستطيع تحقيق حلمه في إنشاء دولة وإمامة على المذهب الإباضي في المشرق، ولكن أحد تلاميذه وهو سلمة بن سعد⁴ ذهب إلى المغرب تبين أن هناك إمكانية لإنشاء نظام إباضي فيه⁵، وقد واجهتم عدة ثورات وصعوبات مع الصفرية⁶، الذين استولوا على مدينة القيروان سنة (138هـ - 755م)، لكن سرعان ما أفتكت منه بسبب كره أهالي القيروان لعنف الصفرية وتبديلهم لبعض أمور الدين حيث استغل الإباضية وضع الصفرية وبدأوا في نشر مذهبهم حتى أصبحوا القوة السياسية الوحيدة التي يمكن لأهل القيروان الاعتماد عليها ونجح هؤلاء الإباضية في إعادة تنظيم صفوفهم من جديد وتولى أمر هذه المهمة حملة العلم الخمسة⁷، الذين درسوا أصول المذهب الإباضي في البصرة على يد داعية الإباضية الأكبر أبي عبيدة مسلم بن كريمة⁸، أين اختاروا منطقة "صياد"، غربي مدينة طرابلس

1- الخوارج: هي فرقة أشد الفرق الإسلامية دفاعا عن مذهبهم، وقد ظهوروا في جيش علي رضي عنه الله في معركة صفين، ينظر: أبي منصور البغدادي، الفرق بين الفرق، تح: محمد عثمان الحشين، مكتبة ابن سينا، مصر، (د.ط)، (د.ت.ط)، ص 74.

2- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1984م، ص 25.

3- عبد الله بن أباض التميمي: هو من قبيلة تميم نشأ بالبصرة وعاصر فتنة افتراق المسلمين بعد الصفين ينسب المذهب الإباضي إليه، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2009م، ج 2، ص 263.

4- سلمة بن سعد: عالم وداعي، أخذ العلم عن إمام المذهب جابر ابن زيد وعن أبي عبيدة مسلم، وهو أول من جاء من البصرة بالمذهب الإباضي بالمغرب، ينظر: المرجع نفسه، ج 2، ص 189.

5- يوسف على بديوي، صفحات من تاريخ الإسلام، دار الأصاله، الجزائر، ط 1، 2010م، ص 45.

6- الصفرية: هم أتباع زياد بن الأصفر، وهم في آرائهم أقل تطرفا من الأزارقة وأشد من غيرهم، ينظر محمد أبو زهرة، المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، مصر، (د.ط)(د.س.ن)، ص 72.

7- حملة العلم الخمسة: هم الخمسة الأوائل الذين تلقوا العلم بالبصرة وهم أبو الخطاب بن السمع المعافري، عاصم السدراتي، عبد الرحمان بن الرستم، داود القبلي، إسماعيل بن درار الغدامسي، ينظر: الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلال، مطبعة البعث، الجزائر، (د.ط)، 1974م، ج 2، ص 22.

8- أبي عبيدة مسلم بن كريمة، كبير تلاميذ جابر، تعلم العلوم وعلمها، ورتب الأحاديث وأحكامها، كان عالما مع الزهد في الدنيا، ينظر: المصدر نفسه، ج 2، ص 238.

واستقر رأيهم على تولية أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري¹، إماما لهم سنة (140هـ - 757م)².

ثم بعد ذلك رأوا أن الوقت قد حان للبدء في العمل والانتقال لدور الدفاع، فاحتلوا طرابلس في نفس العام، وتوجهوا بعد ذلك بقيادة السمح المعافري وجيشه إلى القيروان، فثارت حرب بينهم وبين سكان المدينة وعاد إلى طرابلس لمواجهة جنود العباسيين وهكذا ابتدأت الدولة الإباضية الخطابية³.

II - نشأة الدولة الرستمية

تعد الانطلاقة الأولى لنشأة الدولة الرستمية بعد مغادرة أبو الخطاب مدينة القيروان لملاقاة ابن الأشعث الخزاعي المرسل من طرف العباسيين في طرابلس⁴، وقد استنجد أبو الخطاب بعبد الرحمان بن رستم الذي أصبح واليا في القيروان سنة (140هـ - 757م)، لمحاربة ابن الأشعث، فسار عبد الرحمن بجيشه لنجدة إمامه، لكنه توقف عند قابس في طريقه إلى طرابلس بلغه خبر استشهاد أبو الخطاب وانهزام جيوشه، فاضطر للعودة إلى القيروان لثورة أهل قابس عليه وعند نزوله للقيروان وجدها ثائرة ضده، أسرع بمغادرتها متجها نحو المغرب الأوسط⁵.

يذكر أبو زكرياء: "أن عبد الرحمان بن رستم خرج من القيروان، هو وابنه عبد الوهاب، خائفين إلى أرض المغرب، إلى أن وصلوا سوف أجم⁶، المنيع وتحصنوا به، ثم أخذ جموع الإباضية تقد إليه فاجتمع به ستون شيخا من شيوخ طرابلس، وتسامع ابن

1- أبو الخطاب عبد الأعلى السمح المعافري: أصله من اليمن، أحد حملة العلم الخمسة إلى المغرب واهتم بأمر الناس ومصالح المسلمين، وقد بويع للإمامة خارج طرابلس، ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص ص 20 - 22.

2- جودت، المرجع السابق، ص 26.

3- المرجع نفسه، ص 26.

4- إبراهيم بحاز بكير، الدولة الرستمية (160 - 269هـ)، (777 - 909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، ط1، 1985م، ص 97.

5- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط4، 2000، ج6، ص 147.

6- سوفج: يقال أنه لم يتمكن من تعيين الجبل لتبديل الأسماء وطول الزمن، ويقال هو جبل المعروف حاليا بسوفكيك جنوب تيفرت، ينظر: الباروني سليمان باشا، الأزهار الرياضية في أئمة الملوك الإباضية، موقع الاستقامة www.istiqaama.net، ص7. محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاولت الثقافية، (د.م.ط) (د.ط)، 2010م، ج3، ص 25.

الأشعث بخبر عبد الرحمان واجتماع الناس عليه فقصده حتى وصله فحاصره، لكنه اضطر الرجوع بعد تفشي وباء الجدري¹، وبرحيل ابن الأشعث سنة (144هـ - 761م) واصل عبد الرحمان طريقه ونزل عند قبيلة لماية² "لقد حلف بينه وبينهم"³، وأثمرت اتصالات ابن رستم بإباضية القبيلة، وأجمع هؤلاء بضرورة تأسيس دولة تلم شمل الإباضية وإنشاء مركز للمذهب وقد تريثوا في اختيار موضع مدينتهم واجتمعت آراؤهم على استحسان موضع تيهرت⁴، وجاء اختيار موقع تيهرت وليدة الظروف التي واجهتها في مطلع تأسيسها ومن مميزاتها:

أ - بعيدة عن خطر العباسيين.

ب - محاطة بقبائل مشهورة بانتماء أفراد بالمذهب الإباضي.

ج - موقعها الاستراتيجي، حيث تقع بمنطقة غنية اقتصادية.

د - تتوسط التل والصحراء، مما حقق لها السيطرة على منطقة السهوية الشاسعة والطرق التجارية⁵.

وبهذه المميزات أخذوا في تخطيط تيهرت سنة (161هـ - 777م)، وبناء المسجد الجامع وتلي ذلك بناء القصور والبيوت والأسواق⁶.

وبعد بناء العاصمة تيهرت كان لابد للدولة من إمام فتشاوروا فيما بينهم فرأوا أن تخرج من كل قبيلة فردا أو فردين ثم يتم الاختيار، فخافوا من حدوث الفتنة، فقال أحد شيوخهم: "إن عبد الرحمان بن رستم مما لا يجهلون فضله وهو أحد حملة العلم وعامل الإمام أبي الخطاب، وكان المسلمون عرض عليه الإمامة قبل توليه أبي الخطاب فأرضى عنها ودفعها عن نفسه، فهو أهل الإمام لدينه وعلمه.... وغير ذلك من حميد

1- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، (د.ط)، 1979م، ص 47.

2- لماية: وهي قبيلة بترية، كانوا طواغن بإفريقية والمغرب، وقد أخذوا برأي الإباضية ودانوا به وانتحلوه، ينظر: دبور، المرجع السابق، ج3، ص 235.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 147.

4- تيهرت: وهي سفح الجبل، تيهرت الجديدة تبعد عن تيهرت القديمة على نجد خمسة أميال من جهة الشرق، ينظر: البرادي، الجواهر المنتقاة، كلية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ورقة 173.

5- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي "حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس"، دار القلم، مصر، ط3، 1987م، ص ص 95-96.

6- الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد، كتاب السير، دار الأبحاث، تلمسان، ط1، 2011م، ص 139.

أوصافه، إضافة إلى ذلك ليس له قبيلة تمنعه إنَّ بدّل أو غير فإن رأيتُم توليته أموركم فافعلوا. وبهذا الرأي وافق¹ أفراد القبيلة عليه فبايعوه على الإمامة سنة (162هـ - 778م)²، بكتاب الله وسنة رسوله صلى عليه وسلم³.

والجدير بالذكر أن أول دولة خرجت عن الدولة العباسية هي الدولة الرستمية (160هـ - 777م)، (296هـ - 908م)⁴، وسبب ذلك يعود أن الميراث الذي تركته الدولة الأموية استحوذت وسيطرت عليه الدولة العباسية، ولا يمكن أن يتصرف به أي دولة، فلما رأى عبد الرحمان ابن رستم هذا الشيء فعارضه وخرج عن العباسيين وأنشأ دولة إياضية وهي الدولة الرستمية⁵.

ولقد انطلق عبد الرحمان ابن رستم بعد المبايعة في توطيد الحكم وتطبيق دعائم الدولة ومواجهة المشاكل المصاحبة لقيام دولة سواء كانت الداخلية أو الخارجية⁶، كما استطاع أن يخلف حالة من الاستقرار السياسي بين دولته الناشئة وبين سائر القوى السياسية والأخرى في بلاد المغرب الإسلامي⁷، إلى أن توفي سنة (168هـ - 784م)⁸، وبعد وفاته خلفه:

- ابنه عبد الوهاب بن رستم: (168هـ - 784م)، (208هـ - 817م).

- أفلح بن عبد الوهاب بن رستم: (208هـ - 817م)، (258هـ - 871م).

- أبو بكر بن أفلح بن عبد الوهاب: (258هـ - 871م).

- أبو اليقظان محمد بن أفلح: (258هـ - 871م)، (281هـ - 894م).

1- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 42.

2- هناك عدة اختلافات حول تاريخ الإمامة فهناك من يقول أن ابن رستم قد بويع بالإمامة مرتين الأولى بعد استشهاد أبي الخطاب سنة (144هـ - 762م) والثانية عرفت بإمامة الظهور سنة (162هـ - 489م)، ينظر: محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، دار البيضاء، ط3، 1985م، ص 151.

3- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 42.

4- الشماخي، المصدر السابق، 132.

5- الحريري، المرجع السابق، ص 177.

6- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 151.

7- الحريري، المرجع السابق، ص 107 - 108.

8- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 194.

- أبو حاتم يوسف بن محمد: (281هـ - 894م)، (284هـ - 897م)¹.

III - علاقتها الخارجية

أ- دولة الأغالبة (184هـ - 800م)، (296هـ - 909م): إن علاقة الرستميين بالأغالبة لم تتخذ طابع عدائياً، مكتفية بمجرد الدفاع عن الحدود، وما أن لبثوا وتماشياً الأغالبة مع سياستهم في معاداة الخلافة العباسية، سلكوا في علاقتهم مع الرستميين مسلكاً عدائياً وكانت تلك العداوة تركيها الخلافات المذهبية².

ب- دولة الأدارسة (172هـ - 788م)، (375هـ - 991م): اتسمت علاقة بني رستم بالأدارسة بطابع العداء بسبب سياسة توسيع النفوذ يضاف إلى ذلك مشكلات أخرى عمقت الصراع منها الاختلاف المذهبي الذي انعكس بشكل أعمق اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً³.

ج- بني مدرار "سجلماسة" (140هـ - 757م)، (772هـ - 976م): ارتبطت علاقة الرستميين ببني مدرار بأوثق الروابط بسبب انتمائهم إلى المذاهب الخارجي⁴.

د- علاقتها بأفطار السودان: كانت علاقتها علاقة صداقة وثيقة، حتى إن قوافلها التجارية تصل إلى منطقة (كوكو) في شمال السودان، كما كانت ورجلان في الصحراء التابعة للدولة الرستمية أكبر قواعدا التجارية إلى السودان⁵.

هـ- دولة العباسية (132هـ - 750م)، (656هـ - 125م): كانت العلاقة عدائية بسبب الميراث الذي تركته الدولة الأموية للدولة العباسية، لذلك تعصب الرستميين أنهم ليس حق لذلك الميراث، وخرجوا عليها⁶.

1- أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1963م، ص 196.
2- محمود إسماعيل، الأغالبة سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط3، 2000م، ص 97.
3- محمود إسماعيل، الأدارسة (172هـ - 375هـ)، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ط.)، (د.س.ط.)، ص ص 147 - 148.
4- الحريري، المرجع السابق، ص 206.
5- دبوز، المرجع السابق، ج1، ص ص 309 - 311.
6- الحريري، المرجع السابق، ص 192.

IV - سقوطها

عرفت الدولة الرستمية في عهد أبي ليقظان بالفتن السياسية والأحوال المتدهورة إلى أن دخلت مرحلة الضعف والانحطاط¹، ولم يقض أبو حاتم إمامته إلا في تنافس وصراع بينه وبين عمه يعقوب وباقي الطوائف مثل الصفرية والمعتزلة² والشيعة³، وكذا ما انشق من الفرق⁴ التي كان من بينها النكارية⁵ ومن أسباب ضعف الدولة هو تحطيم جيل نفوسة على يد الأغالبة سنة (283هـ - 896م)⁶.

وبينما الدولة الرستمية على هذا الحال وظهور الدعوة الشيعية ببلاد المغرب حتى جاء أبو عبيد الله الشيعي⁷، وقصد تيهرت فخرج إليه أهلها متبرئين من أبو اليقظان وواعدين له بفتح المدينة، وبهذا عجز اليقظان ووجد أبو عبيد الله الشيعي مستسلماً⁸. وعند مقتل أبي اليقظان من طرف طائفة من أفراد أسرته انقرضت هذه الدولة⁹، وبهذا انتهى حكم بني رستم على يد أبو عبيد الله الشيعي والتي دامت ما يقارب مئة وثلاثين عاماً وبسقوطها انتهى الوجود الإباضي بالمغرب.

- 1- المليي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1976م، ج2، ص 64.
- 2- المعتزلة: نشأت هذه الفرقة في العصر الأموي واستغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ردحا طويلا من الزمن، ينظر: أبو زهرة، المرجع السابق، ص 118.
- 3- الشيعة: أقدم المذاهب الإسلامية، ظهوروا في آخر عصر عثمان رضي الله عنه ترعرع في عهد علي كرم الله وجهه، اتسمت بالتعصب الشديد لآل البيت النبوي، ينظر: المرجع نفسه، ص 32.
- 4- بحاز، المرجع السابق، ص 126.
- 5- النكارية: أهم أتباع يريد بن فندين أبو قدامة النكاري، وسمو بالنكار لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم وثأروا ضده، ينظر: ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين القرن الثالث، تح: إبراهيم بحاز ومحمد ناصر، الجزائر، (د.ط)، 1985م، ص 37.
- 6- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 91.
- 7- أبو عبيد الله الشيعي: هو مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وزعيمها، وهو الذي سقطت على يده الدولة الرستمية، ينظر: محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.س.ط)، ص ص 24 - 25.
- 8- يحي بوعزيز، الوجيز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009م، ص ص 97 - 98.

الفصل الأول

المؤسسات التعليمية وأبرز العلوم

I - المؤسسات التعليمية

II - أبرز العلوم

I - المؤسسات التعليمية :

1 - الكتاتيب :

تعد الكتاتيب أقدم مؤسسة تعليمية ظهرت في صدر الإسلام وكان انتشارها في المغرب مع قادة الفتح الإسلامي حيث نصّب هؤلاء الخيام لتعليم أبنائهم القرآن الكريم والكتابة¹، ولعل كلمة الكتاب² الذي أطلق عليها اسم دار القرآن كغيره من الكتاتيب كان بناء بسيطاً في الغالب على هيئة البيت المربع أو المستطيل، حيث كان يفرش بحصير بلدي بسيط، يجلس عليه الصبيان متربعين حول المعلم الذي يختص بسرير أو بكرسي مرتفع وربما عوض بمسطبة ليس بها سوى بساط ولم تتجاوز الأدوات المدرسية المصحف الشريف وعدة ألواح يكتب عليها الصبيان وكذلك عدد من الدواء والأقلام³.

ولما كانت الدولة الرستمية تعج بالمساجد فقد كانت تخصص مكاناً لتعليم الصبيان القرآن وحفظه وكتابته، فانتشرت بذلك الكتاتيب في كل مكان إلى جانب المساجد. وإذا كانت هذه الأخيرة منتشرة في الدولة فهذا لا يعني أنها لوحدها تقوم بهذا الدور بل هناك عدة إشارات إلى أمكنة أخرى غير الكتاتيب⁴، حسب ما أشارت إليه بعض المصادر الإباضية عن عمر بن عمر بن يمتكن أنه كان يعلم القرآن الكريم⁵ في منزل يقال له إيفطيمان⁶، الذي يعتبر أول مدرسة إباضية⁷ في المغرب الإسلامي لتعليم الصبيان كتاب الله وحفظه، كما روى ابن الأثير أن عذابي يزيد مخلص ابن كداد، الذي اشترى ضيعة في

1- وزارة المجاهدين، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، دار القصبة، الجزائر، (د.ط)، 2007م، ص 43.

2- الكتاب: هي مكان للتعليم، ينظر: أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 143.

3- عبد الرحمان عثمان حجازي، تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي من ق 1 هـ إلى ق 10 هـ، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، 2000م، ص 137.

4- بحاز، المرجع السابق، ص 273.

5 الشماخي، المصدر السابق، ص 142.

6- إيفطيمان: هي قرية بجبل نفوسة، ينظر: سامية مقري، التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2005-2006م، ص 27.

7- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص 166.

تقويس ببلاد "الجريد" وأقام يعلم فيها الصبيان وكان قبل هذا قد تعلم بأحد مساجد تيهرت، قبل سقوطها على يد أبي عبد الله الشيعي¹.

إذن في هذه المرحلة يتم تعليم الصبيان القرآن الكريم والأحاديث النبوية وبالإضافة إلى اللغة العربية ومبادئها أي مرحلة التعليم الابتدائي، الذي كان يتم في مختلف الكتاتيب التي تعتبر ملحقات المساجد، هذه المؤسسة الهامة التي قامت بدور بارز في تثقيف الرعية وتعليمهم أصول دينهم وإذا أتم الطفل هذه المرحلة أصبح يجوز له دخول المجالس في المساجد وهي تعتبر كمرحلة مكملية لسابقتها، وبهذا قد عرف التعليم لدى الإباضية مراحل الابتدائية ثم الثانوية وهي التي تتم في مجالس العلماء بالمساجد².

وكان المعلم يحمل في يده عصا بغرض التخويف، وفي بعض الأحيان للضرب لمن لا يحفظ وتهاون وتكاسل في حفظ لوحه من القرآن الكريم³، وغالبا ما يكون بالفلقة⁴، أما عن طريقة تحفيظ القرآن الكريم فتتم بواسطة خشب يكتب عليه ثمن أربعة أجزاء بحسب نبرات الطالب في الحفظ⁵، وبعد ذلك يلجأ إلى محو اللوح بالماء بعد نفضه وكثيرا من الأحيان ما يكون خلال الفترة الصباحية.

أما عن معلم الصبيان فهو لا يتقاضى عن ذلك أجرا من الدولة بل يتحصل عليه من أولياء التلاميذ وليس هذا بمعنى أجر يتقاضاه وإنما كعطاء مقابل التعليم أبناءهم وأداء الواجب على أكمل وجه وفي أكثر الأحيان لا يكون مبلغا ماليا بل مقدار من القمح والشعير، ولا يتفوق عمل الكتاتيب بل هنا يتعداه إلى تدريس الفقه والنحو والحديث وغيرها⁶.

1- ابن الأثير أبي الحسن علي، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، ج8، ص 422.

2- بحاز، المرجع السابق، ص ص 280 - 281.

3- حجازي، المرجع السابق، ص 138.

4- الفلقة: إذا تهاون التلميذ في حفظ اللوح وارتكب خطأ يأمر المعلم بضربه، ينظر: وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 44.

5- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة، (د.ط)، 2009م، ج1، ص 81.

6- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص44.

2- حلقات العلم في المساجد :

لقد كانت الدروس الدينية من الفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم الأخرى تلقى في الجلسات العلمية التي تقام بالمساجد وتسمى حلقات العلم ويقصدها العامة والخاصة¹ ويعود الفضل الأول في انعقاد تلك الحلقات إلى الخمسة الأوائل الذين تلقوا التعليم بالبصرة، وعلى رأسهم عبد الرحمن ابن رستم فقد نقلوا صفة مدرسة البصرة الإباضية إلى المغرب، ونقلوا تنظيماتها ودروسها وحلقاتها، ولعل الاختلاف البسيط الذي يمكن أن يكون بين مدرسة البصرة والمغرب هو أن الأولى كانت سرية وفي سرداب أرض بيمنا الثانية كانت علنية وحلقاتها مفتوحة لجميع الراغبين في التفقه وطلب العلم².

ولقد كان الأئمة الرستميون يلقون هذه الدروس بأنفسهم وذلك لعلمهم ودينهم واختلاطهم بشعبهم، ويذكر الشيخ الباروني عند تولي الإمام عبد الوهاب ثاني أئمة الدولة الرستمية الذي كان يقوم بنفسه التدريس للخاصة والوعظ والإرشاد للعامة في المسجد بمدينة "ميري" في جبل نفوسة³.

وكانت هذه الحلق في معظمها تعقد في مساجد العاصمة الرستمية تيهرت⁴، وهذا ما يفسر بأن المساجد التي تعقد بها المجالس والحلق هي أهم مقر التعليم في الدولة الرستمية⁵، أما عن نظام سير هذه الحلقات فقد كانت تعقد بين الصلوات أو بعد صلاة الصبح⁶.

1- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 44.

2- بحاز، المرجع السابق، ص 285.

3- دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 361.

4- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 13.

5- الباروني، المرجع السابق، ص 115.

6- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 45.

ولقد أخرجت هذه الحلقات فطاحل العلماء الذين تتافسوا في العلم والمعرفة، وعقدت بينهم المناظرات، حتى اصطبغت الحياة الثقافية بتيهت بصبغة المناظرة الفقهية والكلامية¹.

كانت العلوم التي يتعلمها الطلبة في الحلقات والمجالس العلمية في أغلبها دينية أما بالنسبة للمبتدئين فعندما يلتحقون لأول مرة بالحلقة كانوا يحفظون ما تيسر لهم من سور القرآن الكريم ويتلقون مبادئ اللغة العربية فإذا تمكن التلميذ من ذلك انتقل إلى مستوى أعلى فيتوغل في علوم الفقه وعلوم العربية وأساليب المناظرة²، فهي بذلك تعتبر أهم مرحلة للتعليم حيث تفتح مجالا للاستزادة والتخصص في إحدى الفنون³.

وبهذا يمكن أن نطلق على هذه المرحلة بالدراسة العليا أو الثانوية خاصة وأنها تتناول فنون العلم والمعرفة المختلفة، كخلق الشيخ أفلح بن عبد الوهاب في علم الفقه والكلام واللغة العربية⁴، ومثلها كثيرة خاصة بتيهت وجبل نفوسه وذلك من خلال ما تخرج منها من العلماء الذين كانوا مرابطين في المساجد وتولوا مختلفه المهام في الطور الأول أي الابتدائي⁵.

أما المشائخ الذين تصدروا التعليم في الحلقات إضافة إلى الأئمة أنفسهم⁶، كان منهم أبو داود القبلي⁷، الذي كان أحد حملة العلم من البصرة وكان له نشاط واسع في تعليم والتثقيف المغاربة وعاصم السدراتي⁸، الذي يعتبر من أهم المعلمين⁹.

1- الباروني، المرجع السابق، ص 116.

2- مسعود مزهودي، جبل نفوسة في العصر الوسيط، (21-442هـ)، (642-1035م)، مكتبة الظاهري، سلطنة عمان، (د.ط)، (د.س.ط)، ص 396.

3- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 44.

4- الشماخي، المصدر السابق، ص 222.

5- دبوز، المرجع السابق، ص 370 - 371.

6- بحاز، المرجع السابق، ص 283.

7- أبو داود القبلي: هو أحد أعلام الكبار، أصله من نفزي، أخذ علومه الأولى عن سلمة بن سعد، ثم انطلق مع عبد الرحمان بن رستم من المغرب إلى العراق يتلقى مختلف العلوم، وعند رجوعه إلى بلده اهتم بتدريس وتكوين الأجيال، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 193.

8- عاصم السدراتي: من أئمة المشاهير من قبيلة سدراته في جبال الأوراس بشمال الجزائر، شارك مع أبي السمح في إعلان دولة في طرابلس، ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 239.

9- لقبال، المرجع السابق، ص 165.

الذين وقفوا حياتهم لهذه المهمة¹، إذا رسم لنفسه خطة عمل حرص على تنفيذها، وهي أن يركب ناقته وينتقل بين الأحياء الضاربة في البيداء يعلم الناس في مضاربهم، ويبين لهم ما يجهلونه من أحكام الدين، فلقد كان يشق طريقه بين مدن وقرى جبل نفوسة ثم يقصد غدامس²، ومنه يتجه إلى جبل الأوراس غربا واتخذ في طريقه مساجد صغيرة تعرف عند الإباضية بالمصليات التي كان يلقي فيها دروس الوعظ والإرشاد³، وهذه الطريقة التي اتبعها مشائخ المغرب حتى وصلوا إلى الأماكن النائية التي تمكن أفرادها من التعليم والتتقيف في الدين واللغة العربية ونشر الإسلام⁴.

ولم يكن نظام الحلق مقتصرًا على المساجد فقط بل كان للمنازل دورا في ذلك أيضا، ومن ذلك منزل أبي ذر أبان بن وسيم⁵ ومنزل أبي هارون الجلامي موسى بن يونس النفوسي⁶ الذي قال عنه أحد أقرانه في العلم "لو علم الناس ما ينفعهم لزدحموا عند باب داره كما يزدحمون عند باب دار أبي عبيدة بالبصرة"⁷.

إنّ فإن العلم في تيهرت لم يتخذ مكاناً معيناً بل كان منتشرا في المساجد والمنازل مما جعلها مراكز هامة لتلقي العلوم العقلية والنقلية ونشر الحضارة العربية الإسلامية في بلاد المغرب⁸.

1- لقبال، المرجع السابق، 165.

2- غدامس: هي واحة ليبية تاريخية قديمة تقع في حدود الليبية التونسية الجزائرية، ينظر: مقرين بن محمد البغطوري، سير مشائخ نفوسة، تح: توفيق عباد الشقروني، مؤسسة تأملت الثقافية، (د.م.ن)، (د.ط)، 2009م، ص 78.

3- بحاز، المرجع السابق، ص 283 - 284.

4- علي يحيى معمر، الإباضية في الجزائر، المطبعة الحربية، الجزائر، ط2، 1986م، ج1، ص 129.

5- أبو ذر أبان بن وسيم: من علماء الإمامة الرستمية تلقى العلم في كبره على يد العلامة الشيخ بن خليل الدركلي، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، ج2، ص 7.

6- أبو هارون الجلامي: عالم كبير تعلم عند الشيخ أبو القاسم ثلاثون سنة فنون الفقه وعلومه، توفي في معركة مانو سنة 283هـ، ينظر: البغطوري، المرجع السابق، ص 34.

7- بحاز، المرجع السابق، ص 286.

8- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 45.

3 - المكتبات :

تعتبر المكتبات مؤسسة تعليمية ومصدر من مصادر المعرفة حيث تحفظ فيها العلوم وثمار خيرات السابقين، وهنا كان اهتمام المسلمين بالمكتبات وخاصة الأئمة الرستميين أو بنو رستم الذين اشتهروا باقتنائهم الكتب من المشرق، كما اشتهروا بالتأليف في مختلف فنون العلم¹.

كما نلاحظ أن إباضية المغرب الإسلامي عامة والنفوسيين خاصة قد اهتموا بالكتاب تأليفا ونسخا، وصرفوا الأموال طائلة في شراء الكتب²، فالاهتمام بالكتاب واقتنائه من أهم ما يلاحظ في هذه الدولة حكما وعلماء، ومن ذلك إن الإمام عبد الوهاب بعث بألف دينار لإخوانه بالبصرة ليشتروا له كتابا وتطوعوا في نسخ الكتب والمجلدات الموجودة عندهم فنسخوا أربعين جملا من الكتب فبعثوا بها إليه³.

كما كانت له خلوته العلمية الخاصة به إلى جانب مجالسه العامة التي كان يرتادها طلبة العلم من سائر أرجاء دولته⁴.

و ذلك ما يوضحه الوسياني في قوله: "لولا تلك الكتب التي نسخ عمروس لما وجد ديوان بتيهت حيث أحرقها الحجاني أيام أبي اليقظان وبنيه"⁵، من ذلك أن الكتب التي جلبت من المشرق واستنساخها هي التي كونت المكتبة الرستمية وجعلتها ثرية⁶. كما يشير الشماخي إلى أن الإمام عبد الوهاب أتمه خزانة كتب⁷، مما يدل على أنها هي النواة الأولى للمكتبة التي تذكر المصادر الإباضية أنها عبارة عن صومعة⁸.

1- بحاز، المرجع السابق، ص 288.

2- مزهودي، المرجع السابق، ص 418.

3- أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 65، الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص ص 56 — 57.

4- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 298.

5- أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني، سير الوسياني، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصيانه، نشر وزارة التراث والثقافة، عمان، ط1، 1430هـ، 2009م، ج1، ص 197.

6- بحاز، المرجع السابق، ص 289.

7- الشماخي، المصدر السابق، ص 222.

8- أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 213، الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 94.

ومن هنا نستنتج أن النواة الأولى لظهور المكتبة في الدولة الرستمية كانت على عهد عبد الوهاب و التي عرفت فيما بعد باسم المعصومة¹، والتي امتثلت بالآلاف المجلدات ويذكر أنها بلغت نحو 300 ألفا مجلد في مختلف أنواع العلوم والفنون والآداب²، كما تتحدث المصادر عن ديوان بالجبل يشمل على مؤلفات كبيرة وقد زار هذا الديوان أبو العباس بن عبد الله بن بكر النفوسي ومكث فيها أربعة أشهر يقرأ الكتب لا ينام إلا فيها بين أذان الصبح إلى أذان الفجر، وقد احتوى هذا الديوان على تأليف المشرق والمغرب وأن تأليف المشرق وحده قرب عدده 33 ألفا جزاء³.

وهكذا أضحت عاصمة الدولة تيهرت بمركزها مقصدا للطلاب والعلماء للتزويد من منبعها الزاخر وعليه فإن المكتبة تعد من أبرز دور التعليم في تيهرت مع الكتاب وحلقات التدريس جنبا إلى جنب خاصة وأن جل هذه الكتب التي تحتويها من تأليف علمائها الأئمة الرستميين الإباضيين⁴. ولهذا نجد أن الفاطميين عند ظهورهم بأرض المغرب جلبت المكتبة أنظارهم من أجل طمس معالم المذهب الإباضي المخالف لهم⁵، ولذلك أمر بحرقها ولم يتركوا من هذه الكتب إلا ما تعلق منها بالرياضيات والفلك والهندسة والطب⁶.

1- الباروني، المرجع السابق، ص 293، دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 397.
2- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة للنشر، القاهرة، (د.ط.)، (د.س.ط.)، ص 158.
3- مزهودي، المرجع السابق، ص 419.
1- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 46 .
5- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 299.
6- الحريري، المرجع السابق، ص 238.

II - أبرز العلوم

1- العلوم النقلية:

أ- التفسير :

كان اهتمام العلماء المسلمين كثيرا بالقرآن الكريم كونه المصدر الأساسي لتشريع الإسلامي¹، ولما كان القرآن الكريم هو المصدر الرئيسي لإصدار الأحكام أجتاح الناس إلى فهم معانيه وشرح آياته²، لذلك اجتهدت العرب في توضيح ألفاظه، وإن واجهتهم غموض رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم³، من أجل تفسير بعض الآيات التي أشكلت عليهم، وشيئا فشيئا تفرغ بعضهم لهذا الأمر واهتم بتفسير الألفاظ والكلمات والمعاني والآيات فعُرفوا بالمفسرين لكتاب الله "وإذا كان العرب قد احتاجوا إلى من يفسر لهم القرآن الكريم فإن البربر من باب أولى لهذا"⁴، نظرا لعدم احتكاك المغاربة باللغة العربية إلا بعد فتح الإسلامي، لذلك عكف علماء تيهرت على شرح الألفاظ القرآنية وتفسير معانيها⁵، هذا وقد كانت حلقات الوعظ والتدريس ومجالسها لا تخلوا من شرح ألفاظ القرآن وتفسير لآياته وخاصة منها الآيات المتعلقة بالأحكام ذات الممارسة اليومية كالصلاة والزكاة والحج وغيرها⁶، وقد كانت طريقة الشرح اللفظية شفوية حتى يفهمها معظم المغاربة وربما قد يتطلب ذلك جهدا كبيرا من قبل الأئمة الرستميين، نظرا لاهتمامهم المتزايد في نشر العقيدة الإسلامية عن طريق المذهب الإباضي فيتولون بأنفسهم مهمة التدريس في حلقات العلم في المساجد إضافة إلى تواجد متخصصين في تفسير أحكام القرآن الكريم⁷.

1- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 57.

2- بحاز، المرجع السابق، ص 298.

3- أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 102.

4- بحاز، المرجع السابق، ص 298.

5- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 47.

6- بحاز، المرجع السابق، ص 298.

7- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 48.

ولأجل ذلك وجدنا الإمام عبد الوهاب قد أرسل إلى أهل نفوسه يطلب منهم أن يبعثوا له جيشاً يكون فيه رجل عالم بفنون التفسير للرد على الوصلية وهو "محمد بن يانس"¹، الذي جاء إلى تيهرت وخاطب الإمام قائل: "أما أنا يا أمير المؤمنين فقد كفيته فنون التفاسير إن شاء الله"²، كما يقول عن نفسه: "أخذت تفسير القرآن كله من الثقاب وعلمت عنهم إلا حرفاً واحداً أو حرفين، فإن اضطررت أجد مخرجاً"³، هذا وقد قام لوأب بن سلام⁴، بتفسير جزء من سورة الشورى في كتاب شرائع الدين وتعرض إلى حكم حجاب المرأة⁵، في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ)⁶، وما تبدى لنا أن تفسيره ليس به غموض أو إبهام.

أما التأليف في التفسير نجد مثلاً تفسير عبد الرحمن بن رستم كان متداولاً في قلعة بني حماد، تنافس على اقتنائه الإباضية والوهابية والنكارية على حد سوى⁷، كذلك تفسير هود بن محكم الهواري⁸ الذي يُعرف بأنه عالم مُتقناً غائص وهو صاحب التفسير المعروف وهو كتاب جليل في تفسير كتاب الله⁹.

ومما يلاحظ في هذا التفسير أنه يروى في بعض الحالات أسباب النزول ويعتمد على أحاديث نبوية ولم يتبع هود في تفسيره طريقة النقل فقط. وهذا ما تميز به في كتابه

- 1- محمد بن يانس: أحد أعلام جبل نفوسة بليبيا، أخذ العلم عن عاصم السدراتي، كان مجاهد لنفسه، مطيع لربه، ذو المناقب الشهيرة والمآثر الكريمة، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 395.
- 2- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 48.
- 3- بحاز، المرجع السابق، ص 299.
- 4- لوأب بن سلام: أصله من أغرميمان، بجبل نفوسة، نشأ بين أحضان عائلة علم اوتي الحكمة منذ صغره، أخذ العلم على أبي كبة، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 350.
- 5- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 75.
- 6- الأحزاب، الآية 59.
- 7- بحاز، المرجع السابق، ص 300.
- 8- هود بن محكم الهواري: عالم متقن أخذ العلم عن أبيه وعن غيره، اشتهر بمؤلفه، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 443.
- 9- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 49.

أي استخراج معاني الآيات وما تضمنه من أحكام ومجمل القول أن هذا التفسير الذي ألفه هود بن محكم كان محل اهتمام العلماء والرعية في الدولة الرستمية بالتفسير¹.

ب - الحديث :

لم يولي علماء الإباضية في المغرب عناية بعلم الحديث²، ولم تكن هناك مؤلفات إباضية في هذا العلم، فقد ظل إباضية المغرب يعتمدون على مؤلفات المشاركة في علم الحديث³، إلا أن الشماخي ذكر بعض روات الحديث من هؤلاء الشيخ بلقاسم سدرات بن الحسن البغطوري⁴، عن أبي ذر أبان بن وسيم على بن خليل صال عن أبي المنيب محمد بن يانس عن حملة العلماء الخمسة، وهناك حادث مهم وقع في نفوسه في عهد الدولة الرستمية مرتبطاً بعلم الحديث⁵ وهو ورود ديوان جابر بن زيد الأزدي⁶، عندما توجه نفاث بن نصر إلى أرض المشرق ووصل بغداد ومكث فيها زمناً فسمع نفاث أن أمير هذه البلاد يبحث عن من يجاوبه في مسألة فله سؤاله ومناه⁷، فتوجه إليه نفاث وأجابه عن ما سألته فقال له السلطان سل حاجتك فأجابه، بأن يهب له ديوان جابر بن زيد ليستنسخه⁸، غير أنه يعتبر من المفقودات لأن نفاث لما قدم بالديوان إلى المغرب حفر له حفرة وقام بدفنه⁹.

ومجمل القول أن الإباضية في الدولة الرستمية لم تظهر اهتماماً بالحديث وتتعهد وجود مصنفات في ذلك¹⁰.

1- بحاز، المرجع السابق، ص ص 301 - 303.

2- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 76.

3- مزهودي، المرجع السابق، ص 396.

4- أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري: هو من أهل ميري بجبل نفوسة أخذ العلم عن أبان بن وسيم الويغوي، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 169.

5 جابر بن زيد الأزدي: ولد بقرية فرقة، كان امام في التفسير والحديث والفقهاء، ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص ص 108 - 109.

6- بحاز، المرجع السابق، ص 305.

7- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 80.

8- أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 94.

9- الباروني، المرجع السابق، ص 100.

10- بحاز، المرجع السابق، 307.

أما علماء الحديث من غير الإباضية فقد قدم تيهرت العديد من حفاظ الحديث ورواته ومن علماء المالكية والذي أشار إليه بحاز أن سعيد بن عباس السدراتي هو ممن سكنوا تونس اشتغلوا برواية الحديث وبكر بن حماد وأيضاً أبو سعيد بحيج بن خدّاش من أهل توزر انتقل إلى نفوزه إلى أن توفي بها، فقد روى الحديث عن محمد بن سحنون¹ وروى عنه أبو العرب محمد بن أحمد بن محمد بن تميم².

ج - الفقه :

يعتبر علم الفقه من أفضل العلوم وأعلاها قدراً، وأجلها نفعا وأكثرها بركة في معرفة الأحكام، وبفضله نعرف الحلال من الحرام³، ويعرفه ابن خلدون على أنه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين وهي منتقاه من الكتاب والسنة، وما نصه الشرع لمعرفتها من الأدلة: فإن استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل أنها فقه⁴، وكان علماء الإباضية في الدولة الرستمية صبوا جل عنايتهم على هذا العلم فبرزوا الكثير منهم مما جعل شغله استخراج الأحكام من أصولها الشرعية، فظهر فيهم الفقيه المفتي والفقيه القاضي والفقيه الضابط بالقلم المدون لهذا العلم ومما زاد النشاط في الفقه وهو التنافس بين المذاهب الموجودة في المغرب الإسلامي كالإباضية من جهة والحنيفة⁵، والمالكية⁶ من جهة أخرى وفضلاً عن المذاهب الأخرى كالصفرية والمعتزلة والشيعة⁷، ونجد من المهمتين من الفقه بالبيت الرستمي الإمام الثاني عبد الوهاب بن الرحمان الذي ألف كتاباً سماه "مسائل نفوسة" يجيب فيه على أسئلة النفوسيين وكان هذا مشهور لدى الإباضية

1- محمد بن سحنون هو عبد الله بن محمد بن أبي سعيد سحنون، درس في القيروان الشريعة الإسلامية، توفي وعمره 45 سنة عام 256 هـ، ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 351.

2- بحاز، المرجع السابق، ص 308.

3- أحمد عيسى عاشور، الفقه الميسر في العبادات والمعاملات، مكتبة القرآن، مصر، (د.ط)، 1984م، ص 5.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 798.

5- الحنفية، أتباع محمد بن الحنفية كانت لهم الصدارة منذ مقتل الحسين سنة 61هـ، وينادي بالكيسانية وهم أصحاب المختار الثقفي، ينظر: حسن إبراهيم حسن طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، (د.ط)، (د.س.ط)، ص 19.

6 - المالكية: أي المذهب المالكي جاء نسبة إلى مالك بن أنس وأحد المذاهب الإسلامي دخل المغرب سنة 150هـ/767م، ينظر أبو زهرة، المرجع السابق، ص 366.

7- بحاز، المرجع السابق، ص 311.

ومتداولاً بينهم وعلى نفس المنهج ألف الإمام أفلح بن عبد الوهاب كتاب الجوابات الذي يجيب فيه على أسئلة فقهية¹.

ومن بين الفقهاء بتيهت نخص بالذكر أبو عبيدة الأعرج²، كان عالماً بالفقه والكلام والوثائق والنحو واللغة³ والفقيه عبد العزيز بن الأوز⁴، الذي عاش في إمامة أبي اليقظان بن أفلح وكذلك عيسى بن فرناس النافوسي⁵.

كما كان في عهد الإمام أبو حاتم العديد من الفقهاء⁶ ومنهم أبي العباس بن فتحون، أبو عثمان بن الصفار⁷، أحمد بن منصور⁸، ومن هؤلاء أيضاً لا تنسى مسعود الأندلسي⁹ ويزيد بن فندين¹⁰، ومن مشايخ نفوسة نحو ابن مغطير الجناوني¹¹، الذي يعد أول من رحل من إياضية المغرب نحو المشرق للتفقه في المذهب الإباضي، وأيضاً أبو داود القبلي النفزاوي وأبو زكريا التوكنتي¹²، كما برز في ورجلان فقهاء آخرون¹³ نخض بالذكر منهم الشيخ يعقوب بن يوسف بن سهلوان السدراتي المعروف بالطرفي¹⁴.

- 1- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 77.
- 2- أبو عبيدة الأعرج، عاش في زمان إمامة أبي اليقظان كان شيخاً عالماً بالفقه والكلام واللغة والنحو، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 285.
- 3- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 47.
- 4- عبد العزيز بن الأوز: من فقهاء تيهت الرسمية تلقى بها علومه الأولى، وله رحلة نحو المشرق، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 256.
- 5- عيسى بن فرناس النافوسي، عاصر الإمام أبا اليقظان محمد بن أفلح علماء تيهت الرسمية تلقى بها علومه الأولى، وله رحلة نحو المشرق، ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 256.
- 6- الشماخي، المصدر السابق، ص 263.
- 7- عثمان بن الصفار: عاش في عصر الدولة الرسمية وعاصر الإمام أبا حاتم وهو عالم في الفقه، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 287.
- 8- أحمد بن منصور: من علماء تيهت الرسمية، كان فقيهاً وخطيباً في جامع تيهت، ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 51.
- 9- مسعود الأندلسي: وهو من نفر الستة الذين ترك الإمام عبد الرحمان بن رستم شوري بينهم قبل وفاته، ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 414.
- 10- أبو زكرياء، المصدر السابق، ص ص 54 - 55.
- 11- ابن مغطير الجناوني، أول علماء الجبل رحل إلى المشرق وتلمذ على يد أبي عبيدة، ينظر: الشماخي، المصدر السابق، ص 146.
- 12- أبو زكرياء التوكنتي: كان عالماً وعلامة عاش طويلاً وشارك في غزوة العباس وحاكم جبل نفوسة، ويقال عنه الجبل، ينظر: ليفيتسكي تادويش، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، تح: عبد الله زاور، مؤسسة تالوت الثقافية، (د.م.ن)، (د.ط)، 2006م، ص 41.
- 13- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص ص 293 - 331.
- 14- يعقوب بن يوسف بن سهلوان السدراتي، من علماء القرن الثالث هجري بورجلان، أخذ العلم بتعلم على الأئمة الرستميين، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 474.

ومن فقهاء فزان أبو الحسن جناو بن فتى المديوني كان من أهل التحقيق وكان إليه المرجع في الحكم الخفي الدقيق¹، ولم يقتصر الفقه على الإباضيين فقط بل كان هناك من المذهب المالكي ومنهم الفقيه موسى بن الفارسي أو البادسي وابن الصغير المالكي الذي يعتبر من الفقهاء البارزين بتيهت والفقيه أبي الفضل العباس بن محمد الغدامسي².

2 - العلوم العقلية :

أ - علم الكلام :

ويطلق عليه أيضا علم المنطق، كان الناس يتدارسون في كل الأوقات، وذلك للإشباع حاجتهم من هواية الجدل والمناظرة وكان هذا النوع من الثقافة شائعا في بغداد إبان القرن الثالث هجري نظرا للارتباط العلمي بين المشرق و تيهت³.

وقد برز هذا العلم منذ ظهور التعددية الفكرية والاختلاف حول الإمامة خاصة إمام عبد الوهاب، ومن هنا ظهرت مجموعة من الفرق وحركات والمناوبة له والتي أساسا انشقت من الفرقة الإباضية الأم والتي احتفظت لنفسها باسم الوهابية إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان⁴، وأهم هذه الحركات الحركة النكارية وتنسب إلى يزيد بن فندين النكاري الذي أنكر إمامة عبد الوهاب⁵، بدعوى عدم توفير شروط العلم ووجود علماء أعلم منه وأحق بالإمامة⁶، وكذلك الفرقة الخلفية نسبة إلى خلف السمع بن عبد الأعلى⁷، والتي رأت ضرورة استقلال جبل نفوسه عن بعد الإمامة بحكم بعد الجبل عن مقر الإمامة وتجزم بأن إمامة افلح بن عبد الوهاب غير جائزة وتنقصه القدرة على تسيير شؤون الدولة فاشتركت هذه الفرق في محور الجدل واحد تمثل في مسألة

1 - الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص ص 291، 293، 331.

2 - بحاز، المرجع السابق، ص 323.

3 - وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 52.

4 - ابن الصغير، المصدر السابق، ص 16.

5 - أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 85.

6 - وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 52.

7 - عامر النجار، الإباضية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د.ط)، 2004م، ص 44.

الإمامة، وإزاء ذلك ظهرت الفرقة الوهابية للرد على مخالفيها بالحجة وازدادت حدة المناظرات بينها خاصة عندما ما أخذت تلك الفرق تقول في المسائل الفقهية إلى درجة خروج بعضها عن تعاليم الدين الإسلامي في نظر الوهابية قالوا فيهم "إذا أصبحت ولم تجد ما تتصدق به فالعن النكار"، مما يدل على حدة الخلافات المذهبية التي كانت ما بين النكارية والوهابية واعتبروهم خارجين عن الدين¹.

كذلك حركة نفاث رأى نفاث بن نصر أن الإمام افلح تتقصه القدرة على تسيير أمور الخلافة والإمامة والدفاع عن رعاياها فخرج عليه²، وقد شهدت هذه الفرق اختلافات فيما بينها خاصة المسائل الفقهية وكان لكل فرقة اجتهاداتها الخاصة وترى نفسها هي الأصح و الأصوب³.

ب - بين البربر والعربية:

في الواقع أن دول المغرب العربي آنذاك كانت الكثير من البربر ولا سيما الدولة الرستمية، ولعل العنصر العربي كان يتركز بالخصوص في مدينة القيروان ولهذا لا يعني أن العرب لا يتواجدون في غير افريقية، بل كان معظم المدن المغربية تضم منهم الكثير⁴، فتيهرت التي كان يسكنها الأعاجم والعرب الكثيرون داخلتها كثيرا من الألفاظ الفارسية والعربية تبربرت فأصبحت جزءاً من البربري، ولكن العربية داخلتها أكثر لتقدس البربر ولكثرة قراءتهم لها في كتب وسماعهم في الخطب والدروس⁵.

وفي هذا يقول ابن الصغير: "ليس أحد ينزل لهم من الغرباء إلا واستوطن معهم...حتى لا ترى دارا إلا وقيل هذا فلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي"⁶، وهكذا يتبين لنا أن العنصر العربي في العاصمة الرستمية كان هاما

1- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 52.

2- الحريري، المرجع السابق، ص 146.

3- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 22.

4- بحاز، المرجع السابق، ص 342.

5- دبوز، المرجع السابق، ج2، ص 367.

6- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 13.

جداً، لا شك أن له الدور البارز في تعريب المدينة ومحيطها في ذلك الوقت ولو بشكل محدود، ولهذا فلا نتصور أن جميع أقاليم الدولة الرستمية أو حتى مدنها أو قراها المنتشرة شرقاً وغرباً في الدولة ولا نتحدث عن البوادي فإنها تعرف العرب إلا بعد حملات الهلالين وغيرهم¹.

وقد مثل البربر الطبقة العظمى في مجتمع تهرت حيث كانت اللغة البربرية² هي اللغة القومية العامة فهي لغة التخاطب في المنازل والأسواق ويستعملونها فيما بينهم، دفعا لظروفهم اللغوية³، أما عن الكتابات النثرية والشعرية ويذكر الدرجيني عن بعض الكتابات من ذلك كتاب مهدي النفوسي أحد مشائخ نفوسة وسبب تأليفه لذلك اللسان ويقول: "إنما وضعها باللسان البربري ليتناقلها البربر، فكان لهم بصاعهم لم يطفف ولم يبخس ولم يعد من الألفاظ ما يفهمونه، ولا أعرب ولا أغرب بحيث يتوهمونه"⁴.

وتجدر الإشارة إلى أن البربرية كانت تستعمل بكثرة وما زالوا لم يتقنوا العربية لأن عزلة الجبل وخاصة بجبل نفوسة جعلت سكانه لا يتقنون اللغة العربية بهذا السبب وصفه اليعقوبي في نهاية القرن الثالث الهجري، قال بأن أهله "عجم الألسن"⁵، وقد انتشرت اللغة العربية في المدن والقرى وصار الكثير منهم يفقه معناها ويتكلم بها⁶، واستعملت الحروف العربية في الكتابات البربرية مكان الحرف البربري⁷، ويحتمل هذا الانقلاب اللغوي قد حدث في حكم الخوارج للمغرب منذ القرن الثالث الهجري⁸، ولعل من الكتابات البشرية والدواوين التي كتبت بلغة البربر كان أبو سهل فصيحاً بلغة

1 - الباروني، المرجع السابق، ص 126.

2 - قدور وهراني، جوانب من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لمدينة تاهرت، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، مج5، العدد 20، 2010م، ص 172.

3- دبوز، المرجع السابق، ج2، ص 365.

4- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 314.

5- اليعقوبي حسن بن أبي يعقوبي، البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م، ص 99.

6- دبوز، المرجع السابق، ج2، ص 385.

7- حيث تعرف عند المغاربة بخط تافيناغ ولازال هذا الخط محفوظاً عند الطوارق الملمثين في الصحراء الكبرى الجزائرية، ويستعملونها في ما بينهم، ينظر: دبوز، المرجع نفسه، ج1، ص 68.

8- عثمان الكعاك، البربر، (د.د.ن)، (د.م.ط)، ط1، 1956م، ص ص 109 - 110.

البربر، وقد كان ترجمان جده الإمام أفلح وقيل ترجمان خاله يوسف الإمام¹، كما أن بعض الرسائل التي كان الأئمة يبعثونها إلى الرعية في المناطق لم تكن تصدر بالبربرية وإنما باللغة العربية، ولما كانت الرعية في معظمها لا تتقن العربية فكان من الواجب ترجمتها حتى تصل أنبائها للجميع خاصة في بعض المناطق المنقطعة في الواحات في الصحراء أو جبل نفوسة والأوراس².

كما ألف إباضية البربر خاصة في نواحي العقيدة والشريعة من ذلك الكتب التي ألقت بالبربرية (عقيدة التوحيد) التي ترجمها الشيخ عمر بن جميع³، كما أن كتب السير التي احتوت على العديد من الفقرات المكتوبة بالبربرية⁴، ولكن الأستاذ الكعك يذكر أن لا توجد مؤلفات في التفسير والتراجم، وهي ما ينبغي أن يكون موجودا لتكن المادة الأساسية لكتاب السير⁵.

واهتم البربر كغيرهم من الإباضية بالشعر والدواوين وكتابته منها الديوان الذي وضعه أبو يعقوب يوسف بن محمد أشعار أشياخ بالبربرية⁶، و أشعار أبا سهل الفارسي النفوسي⁷، قد نبغ فيه وله دواوين شعرية وكان يجيد البربرية ونظم مراثي يقول عنه الدرجيني: "إلا أن الغالب من أحواله، همل الدموع، والتلهف على الفأنت ليس له الرجوع، فجعل هجير مرثي الدين وأهله، و البكاء عليه بوابل الدمع وطله حتى دونت الدواوين من كلامه وانتشر في الأفاق حسن نظامه، و قد اعجز المراثي بما أوعظ، فلما بذلك في النفوس أحسن موقع وأوفر حظاً، وجميع ما حفظ من ذلك فإنما هو بلسان

1- الشماخي، المصدر السابق، ص 289.

2- بحاز، المرجع السابق، ص ص 344 - 345.

3- دبوز، المرجع السابق، ج1، ص 365.

4- مزهودي، المرجع السابق، ص 401.

5- الكعك، المرجع السابق، ص 63.

6- الشماخي، المصدر السابق، ص 498.

7- أبو الحسن بن سهل النفوسي: مؤرخ وعلامة إباضي، كان ينتمي إلى بطن من قبيلة نفوسة في بلاد الجريد، ينظر: ليفيتسكي تاديوش، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا، تر: ماهر جرار، ريماء جرار، مؤسسة تالنت الثقافية، (د.م.ت)، (د.ط)، 2007م، ص 44.

البربر، أو أكثره بالصواب حداً، فقف على دواوينه تكن عليه مترجماً، ولا ترمها إذا لم تجد لها مترجماً¹.

وكان يمكن أن يستفاد من شعره في التاريخ بحيث له اثني عشر كتاباً في المواعظ وفيها حمل من تواريخ أهل الدعوة، لكن احترقت معظم الدواوين²، وما وجد من هذا الكتاب ولم يبق منها أخبارها وربما قال قائلهم بالموضوع قبر أبي سهل من كثرة بكائه "انطلقوا بنا إلى قبر النادب ذنبه ودينه"³.

كما نجد كذلك أشعار ومواعظ كتبها أبو ميدول مصكداسن إلى جانبي ذلك أشعار النساء منها أشعار في الحساب والقبر والموت أنشدتها امرأة تدعى زیدت بنت عبد الله الملوشائي⁴، وأشعار ولمنزو بنت عثمان المزاتي⁵، وربما كان هذا يتغنون به في المناسبات والأعياد الدينية سيما عيد المولد النبوي الشريف⁶.

وتجدر الإشارة إلى أن البربر كانت تستعمل لكثرة في المجالس خاصة مجالس الوعظ والإرشاد لأن عزلة الجبل والقرى النائية جعلت سكانه لا يتقنون اللغة العربية⁷، وذلك تسهيلاً للبربر على التعرف وفهم دينهم، كذلك من البربر شعراء بالبربرية مجيدون كثيراً ما نسمع اليوم من قصائد عامية بليغة وألفت بها التأليف الدينية حرصاً من رجال الدين على إيصال عقائده وعبادته إلى العامة إذا لم يكن البربر يحسنون -طبعاً- جميعهم العربية⁸، وأن ميل الإباضية خاصة التأليف بالبربرية فإذا تمكن فعلاً أصبحت

1- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص ص 351 - 352.

2- أحرقت معظم الكتب والدواوين، هي قلعة بني درجين، ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص 352.

3- نفسه، ج2، ص 352.

4- الشماخي، المصدر السابق، ص 409 - 317.

5- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 310.

6- دبوز، المرجع السابق، ج1، ص 55.

7- مزهودي، المرجع السابق، ص 401.

8- الملي، المرجع السابق، ج2، ص 78.

معرفة اللغة العربية ضرورية من الواجبات على المسلم، وهو ما شعر به البربر بعد ذلك في القرون التي تلت عهد الرستميين ولا يزالون¹.

إن استعمال البربرية في الحياة الفكرية في الدولة الرستمية أو غيرها من الدول المغرب الإسلامي آنذاك، يعتبر محدوداً جداً، إنما استعمال البربرية إلى جانب العربية لإيصال الإسلام إلى البربر المنقطعين في رؤوس الجبال والبوادي². وبهذا ما اكتسبته اللغة البربرية من رقي لمجاورتها للغة العربية في المغرب في تلك العهود، وترقت في الدولة الرستمية لأنها جزء من شخصية البربر³.

رغم ذلك إن العلماء الإباضية في الدولة الرستمية من المهتمين باللغة العربية وكانوا يشجعون الناس دوماً على تعلم اللغة العربية وعلى هذا قال الشماخي: روي عن أحد المشائخ السبعة وتأليفهم للديوان أبي عمران موسى بن زكريا مرارا في مجالس كثيرة "تعلم حرف واحد من العربية كتعليم ثمانية مسائل في علم الفروع، وتعلم مسألة واحدة كعبادة ستين سنة، ومن حمل كتابا إلى بلد لم يكن فيه ذلك الكتاب فكأنما حمل ألف حمل دقيقاً، وتصدق بها على أهل ذلك البلد"⁴.

وهكذا فإن للإباضية فضل في تعلم العربية في الدولة الرستمية وفهم الفقه وعلوم الدين. حيث قال البكري: فمن حيث وقعت الفتنة "إنما نقاتل نحن العرب على الدينار والدرهم. أما البربر، فإنما يقاتلون على دين الله ليقيموه"⁵، وكان لعناية الحكام الرستميين بالعربية وعلومها وآدابها التي لا لغة غير العربية وعلى هذا ما اقتدت بهم الأمة البربرية⁶. وحاولت أن تتخلص من تعدد اللهجات، خاصة وأن الدولة الرستمية تضم عدة قبائل بلهجات المختلفة. فربطها للمغربيين الأوسط والأدنى من العوامل التي تؤدي إلى

1- بحاز، المرجع السابق، ص 347.

2- المرجع نفسه، ص 347.

3- دبوز، المرجع السابق، ص 367.

4- الشماخي، المصدر السابق، ص 402.

5- أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 35.

6- الملي، المرجع السابق، ج2، ص 78.

احتكاك القبائل ببعضها، فلا شك أن اللغة العربية بين هذه القبائل كانت العامل المشترك، أو لغة مشتركة يتفاهمون بها لتخلص من تعدد اللهجات¹.

إن الرستميين في ذلك العهد بذلوا مجهود لتعريب البربر حيث كانت اللغة العربية لغة لدولة الرستمية وعاشت إلى جانبها البربرية عيشة العامية اليوم مع الفصحى.

ج - العربية وآدابها:

عند قيام الدولة الرستمية سكن تيهرت العديد من العرب من البصريين والكوفيين، كما هاجروا إليها العديد من القرويين وكان لكل منهم مسجد معروف بهم ورحبة، فمن المؤكد أن تشكيلتها اللغوية² المزدوجة من بين العربية والبربرية، ولا شك أن اهتمام الإباضية باللغة العربية قد تولد عنه نبوغ بعض العلماء في هذا المجال لأتباعها لغة القرآن، والعلوم الدين من الفقه وغيره من فنون العلم³، ومن أهم علوم العربية كالنحو خاصة والأدب بشقيه:

1- النحو: ندرك أن النحو هو أساس ضروري لكل دراسة للحياة العربية، في الفقه والتفسير والأدب والفلسفة والتاريخ وغيرها من العلوم، يقول عبد القاهر: "إن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الأعراب هو الذي يفتحها..."⁴، ولذا كانت البصرة إحدى المدارس النحوية البارزة ومركز الأم للمذهب الإباضي، ونظرا لمعرفة الكثيرة من علماء تيهرت باللغة العربية وقواعدها، كان من الممكن أن ينتقل نحو البصرة إلى تيهرت مع المذهب الإباضي إلا أنه تعسر على سكانها من البربر الذين كانوا في هذا الوقت يحاولون التحدث بالعربية على أكبر تقدير دون النظر إلى النحو والقواعد⁵، ورغم هذا تحدث ابن الصغير عن أبي عبيدة الأعرج المهتم بالنحو وبراعته في اللغة. يقول: "... قد أتيت يومًا

1- بحاز، المرجع السابق، ص 309.

2- وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 54.

3- وزارة المجاهدين، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، مطبعة الديوان، الجزائر، (د.ط)، 2007م، ص 80.

4- عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانج، مصر، (د.ط)، (د.س.ط)، ص 23.

5- بحاز، المرجع السابق، ص 351 - 352.

أسمع منه كتاب إصلاح الغلط الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة¹، على يد أبي عبيدة، فلما افتتحت قراءته وقلت لعل ناظرا في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ويستقر من ترجمته ويربأ بابي عبيدة عن الزلة فلم أهمزه ولم أمدّه فقال لي يربأ بأبي عبيدة بهمز الألف وضمه وإثما ذكر هذا الحرف لأدل على براعته في اللغة².

بالإضافة هناك من نبغ فيه أمثال الأخوين إبراهيم المهري وأبو عبد الملك المهري ابني قطف، كما برز أبو محمد عبد الله بن محمد المكفوف النحوي³، من سرت التي كانت تابعة للدولة الرستمية، كان من إحدى علماء والمهتمين بالعربية والشعر وتفسير المشروحات، وله كتب أملاها في اللغة العربية، يفضله أهل العلم على سائر الكتب وتوفي سنة (308هـ - 920 م)⁴.

ولما كانت تيهرت مركز لمختلف الأجناس تعددت فيها اللغات واللهجات بها حتى اللغة السودانية، وهذا التنوع أنجب شخصية يهوذا ابن قريش التيهرتي الذي يقول عنه الأستاذ الكعك "عالما بجميع تلك اللغات متضلعا فيها"⁵، ولا شك أن هؤلاء الذين برزوا في علم النحو حتى أصبحوا مقصد الطلبة ولعلماء من أهل المغرب.

2- **الأدب العربي:** لم يكن للأئمة الرستميين اهتماما في الحياة الأدبية بل بروزها في الحياة الدينية بإنشاء الإمام افلح الذي يقول عنه ابن الصغير، أنه كان محبا للآداب والأشعار ولعله عرف الأدب ذروته إلا في عهده⁶، كما نبغ في الأدب وساهم في نظم

1- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: كان فاضلا ثقة وأكثر أهل العلم، صاحب كتاب المعارف، ينظر: خليكان أبو العباس، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح: حسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1980م، مج3، ص ص 43-42.

2- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 46.

3- أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، (د.س.ط)، ص 229.

4- أبو محمد عبد الله بن محمد، المكفوف النحوي، كان عالما باختلاف العلماء واتفاقهم مع المعرفة الواسعة بالنحو واللغة وعلوم القرآن الكريم، ينظر: المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس، تح: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1983م، ج2، ص 22.

5- بحاز، المرجع السابق، ص 353.

6- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 96.

الشعر¹، وألف فيه ديواناً²، ولكن لم يشجعوا الأدب لأنهم كانوا من الفقهاء، ولم يلتفتوا كثيراً إلى الآداب، وهناك من يرجع ذلك الإهمال في هذا الجانب أو عدم اهتمام بالتراجم وتدوينها لذلك لم تصل إلينا، ثم إن اهتمام بعلماء نفوسة أفلتت الكثير من المعلومات من العلماء تيهرت وأدبائها³، وينقسم الأدب إلى نوعين:

أ- النثر: إن ما نعرفه عن فن النثر في البيت الرستمي قد تفوق على نظم الشعر وذلك لسهولة استيعابه، وقلة التعمق في أسرار اللغة ومكوناتها، فقد ظهر بارزاً في شكل الوصايا والخطب والرسائل الديوانية والأقاصيص التعليمية⁴، ومن تلك الرسائل الديوانية النثرية يذكر رسالة الثالثة للإمام أفلح إلى نفاث بن نصر الذي خرج عن طاعته فيقول فيها: "من أفلح بن عبد الوهاب إلى نفاث بن نصر، أما بعد، فالحمد لله المنعم علينا والحسن إلينا الذي بنعمته تتم الصالحات ولا يهتدي مهتدي إلا بعونه وتوفيقه فله المنة عليا ولا منة لنا عليه، وهو المحسن إلينا إذا هدانا لدينه وجعلنا خلفنا بعد... ولن يهتدي من خالق العدل ولن ينجو من ابتدع غير الحق لأن تلك البدعة ضلالة ولكل ضلالة كفر ولكل كفر في النار"⁵، وللإمام أفلح عدة رسائل من هذا النوع وجهها إلى رعيته وعماله.

إن هذه الرسائل امتازت بإيجاز العبارة وصحة الألفاظ والتسلل المنطقي وببساطة الخطب، مما يوحي بجمال أسلوب الأئمة الرستمية وقدرتهم البلاغية⁶.

ب- الشعر: نعلم أن الشعر هو الكلام الموزون المقفى الدال على معنى⁷، ومن ذلك نجد أن العرب قد اهتم بالشعر وأعطى للشعراء مكانة مميزة، فمن خلال عهد الدولة الرستمية فإن الجو الثقافي الذي كان سائد في تيهرت قد ألهم العديد من الشعراء الذين

- 1- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، الجزائر، ط3، 2000، ص 11.
- 2- دبوز، المرجع السابق، ص 375.
- 3- بحاز، المرجع السابق، ص 355.
- 4- وزارة المجاهدين، الحواضر، ص 56.
- 5- الباروني، المرجع السابق، ص 98.
- 6- بحاز، المرجع السابق، ص 359.
- 7- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، لبنان، ط1، 1986م، ص 24.

عاشوا فيها¹، بحيث برز في الشعر خلال عهد الرستميين الإمام افلح بن عبد الوهاب ومن شعره الرائق تلك المنظومة المشهورة تقع في أربعة وأربعين بيتاً يمدح فيها العلم وأهله وإقبال الناس على العلوم الدينية نذكر منها:²

العلم ابقني لأهل العلم آثاراً وليلهم بشموس العلم قد نار
يحمي بهم ذكرهم طول الزمان وقد يريك أشخاصهم روحاً وإكاراً

ولهذا ساهم الإمام افلح بن عبد الوهاب في نظم الشعر وإذ كان شعره أقرب إلى الشعر الوجداني المطبوع وفيها يقول عنه رابح بونار: "تعبير فقهية و ضعف الأسلوب ومع ذلك تعد ثمرة جيدة ونتائج مبكراً لإنتاج عربي في جو بربري"³.

ومن أبرز شعراء تيهرت كذلك نجد الشاعر أبو عبد الرحمان بكر بن حماد بن سماك ابن إسماعيل الزناتي الذي ارتحل إلى البصرة والتقى بشعراء في ذلك الوقت أمثال دعبلا الخزاعي وأبي تمام جيبا ابن أوس الطائي... وغيرهم⁴، حيث تأثر بكر بهؤلاء في هذا الشعر فعرف بنبوغه خاصة في الشعر الغنائي بالمغرب والنظم ولا تجد نظيرها في عمق تفكيرها وأصالتها البيانية⁵، وقد تناول في شعره عدة أغراض وله في المدح والزهد والمواظ⁶، ومن قصائده نجد في الزهد والمواظ وذكر الموت يقول الشاعر:⁷

زُرْنَا منازل قوم لا يزورنا إنّ لفّي غفلة عما يقاسونا
لو ينطفون لقالوا: الزاد يحكم جداً الرحيل فيها يرجوا لملاقونا؟
الموت أصبح بالدنيا يُخَرُّ بها وفعلنا فعل قوم لا يموتونا
فالآن فابكّوا، فقد حق البكاء لكم فاحملون لعرش الله باكونا

1- وزارة المجاهدين، تاريخ الجزائر، ص 81.

2- الباروني، المرجع السابق، ص 90.

3- بونار، المرجع السابق، ص 111، 112.

4- الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأسدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: محمد الأحمد أبو النون، مكتبة الخانجي، مصر، (د.ط)، (د.س.ط)، ج2، ص 281.

5- بونار، المرجع السابق، ص 120.

6- المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 22.

7- الدباغ، المرجع السابق، ج2، ص 283.

والجدير بالذكر أن الشعر في تيهرت أخذ القول بالبربرية إلى جانب الشعر العربي بالإضافة إلى ذلك فإن الشعر في عهد الرستميين لم يلق عناية من قبل الأئمة الرستميين¹.

د - التاريخ :

عرف هذا العلم ذروة نشاطه في الدولة الرستمية فقد اهتم أئمتها بأخبار السلف وأهل المشرق فضلا عن اهتمامهم بتاريخ صدر الإسلام وما حدث فيه²، ومن أشهر الذين كان لهم صدی واسع في علم التاريخ نجد لوأب بن سلام بن عمرو في كتابة عدة مواضيع، رغم صغر حجمه فروى نبذاً من تاريخ أبي بكر وعمل رضى الله عنهما وما حدث في عهدهما ولم يتطرق إلى الخلفيتين الصهرين عثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب رضى الله عنهما إلا بإيجاز وتحدث عن معركة صفين، وذكر فضائل عدة صحابة كأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم³، كما اختصر ثورتي ابي عبد الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني أبي حاتم الملزوزي بالمغرب العربي⁴، أما أهم كتاب في التاريخ لهذه الدولة ومن ذلك كتاب ابن الصغير الذي بدأ تأليفه منذ ولاية عبد الرحمن ابن رستم حتى أبا حاتم يوسف بن محمد اليقظان بن افلح الذي يقول عنه: "وقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجلسه"⁵، وقد اعتمد ابن الصغير في جمع أخبار الأئمة الواحد تتلوا الآخر بالترتيب معتمدا في ذلك على مصدرين هما الرواية الشفوية وهي الغالبة والثانية هي المشاهدة⁶، التي تبدأ قبل أبي اليقظان وكان ابن الصغير قد عاصر الأحداث التي جرت في عهده⁷.

1- وزارة المجاهدين، الحواضر، ص 59.

2- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 62.

3- بحاز، المرجع السابق، ص 368.

4- ابن سلام، الإسلام تاريخه من وجهة إباضية، دار إقرأ، (د.م.ن)، ط1، 1985م، ص 139.

5- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 44.

6- بحاز، المرجع السابق، ص 368.

7- وزارة المجاهدين، الحواضر، ص 60.

3 - العلوم الدنيوية

أ- الطب:

عرف الرستميون عدّة علوم، لكن رغم هذا لم يشهدوا تطوّر في علم الطبّ خلال هذه الفترة في جميع أنحاء المغرب الإسلامي، وفي الدولة الرستمية بصفة خاصة، بسبب اهتمام أئمّتها بالعلوم الدينية، وبما أنّ تيهرت خليط من الأجناس كاليهود والنصارى فقد عرفوا الطب من خلال هذين العنصرين اللذين أهتمّا بهذا العلم، إذ يذكر بحاز نقلا عن أبي أصيبعة "بأن طبقات الأطباء الذين ظهرُوا ببلاد المغرب أو قاموا بها، لم يذكر من المغرب الأدنى والأوسط والأقصى إلاّ عددا قليلا جدّا، يعدّون على الأصابع بينما كان حديثه كلّهُ على أطباء الأندلس"، وكما يقول: "على الطب تقوم الصّحة، فلا يمكن للدولة الرستمية أن تغفل وتهمل مجال الكيمياء لتكوين العقاقير والأدوية والأصباغ"¹.

فالمؤكّد من خلال ما ذكر أن الرستميون لم يهتموا بعلم الطب، كما أن عدد الأطباء ضئيل جدّا، إلاّ إذا طلب النفوسيين دواء العيون من السودان، ويعود سبب صعوبة هذا المجال إلى علماء الرستميين الذين لم يهتموا بهذا الجانب وإنما ركزوا على العلوم الدينية². ومن بين الرستميين الذين أتقنوا الطب، مادام بيّتهم بيت العلوم إذ نجد واحدا منهم ممّن اتخذ الأندلس، دار ومقام له مشهورا بعلوم عديدة منها الطب وهو من أحفاد عبد الرحمان بن رستم محمد بن سعيد، كما نجد مكتبة عند الرستميين يوجد فيها كتب تتعلّق بالرياضيات والفلك والهندسة والطب³.

ب- الحساب وعلم الفلك أو التنجيم:

كان الرستميون من الذين برزوا في الحساب وخاصة في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب، حيث أنّه بلغ في حساب الغبار والنجامة مبلغا عظيما، وحساب الغبار نسبة إلى الأرقام الغبارية⁴، ولعل نشاط التجارة في الدولة الرستمية وكثرة ارتباط علاقتها الخارجية مع الأندلس خاصة كان له دورا في انتشار هذه الأرقام، وقد انتشرت منذ عصر المأمون

1- بحاز، المرجع السابق، ص 373.

2- مزهودي، المرجع السابق، ص 399.

3- الحريري، المرجع السابق، ص 237.

4- الأرقام الغبارية: سميت بهذا الاسم لأنّ أهل الهند كانوا يأخذون غبارا لطيفا ويبسطونه على لوح من خشبة ويرسمون عليه الأرقام التي يحتاجون إليها في عملياتهم الحسابية ومعاملاتهم التجارية، ينظر: المرجع نفسه، ص 237.

الذي يعتبر بالنسبة للرستميّين أزهى عصورها الاقتصادية والثقافية، إذ فيه تولّى الإمام أفّاح منصبه وهو الذي بلغ في حساب الغبار المبلغ المبهّر¹.

قام الإمام أفّاح بتأليف كتب حول هذا المجال، ويستشهد على ذلك عندما أحرق أبي عبيد الله الشيعي مكتبة المعصومة التي يمتلكها الرستميّين باستثناء كتب الحساب والفلك لم يحرقهم، ويرتبط الحساب بعلم الفلك، إذ كانت هواية البيت الرستمي كما أراد أن يعبر عنها الأستاذ شبيخ بكري وقد قال أحد أفراد تلك الأسرة: "معاذ الله أن تكون عندنا أمه لا تعرف منزلة القمر"، ونذكر قصة الإمام أفّاح مع أخته لمّا تذاكرا ليلا لحساب ما سيذبح أولاً في السوق نهار ليلتهم تلك فأصابا كلاهما إلّا أنّ أخت الإمام أفّاح كانت أدقّ منه في بعض التفاصيل².

إنّ داعي اهتمام الرستميّين على ما يبدوا بالعلوم الفلكية هو اتساع نطاق التجارة، كما أنّه يرتبط بعلم الحساب والفلك في آن واحد علم يتوارثه أفراد الأسرة الرستمية ابتداءً عبد الرحمان بن رستم الذي كان يعلم مسبقاً أن سلالته ستلي أرض المغرب إلى آخر إمام هو يعقوب بن أفّاح، الذي نظر في النجوم وعلم أنّ الإباضية أو أسرته انقضت أيامها وزوال ملكها ولا يعود إليها إلى يوم القيامة³.

إنّ الاهتمام بالنجوم ومواقعها وحساب الأمور قبل وقوعها ليس من الكهانة، وإنما هو علم كما يقول الأستاذ دبوز: "يقوم على قواعد علمية دقيقة، وعلى براعة الحساب وعلم الفلك لا يستطيعه إلا العلماء الأعلام"، إن هذه العلوم البارزة التي عرفها الرستميّين وتحدّث عنها المؤرخون حاولنا إيجازها بقدر المستطاع، وبقدر المادة المتوفرة لدينا، لأنّ العلوم الدنيوية لم يهتموا بها الرستميّين بشكل كبير على عكس العلوم الدينية⁴.

1- بحاز، المرجع السابق، ص 374.

2- الحريري، المرجع السابق، ص 238.

3- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 56.

4- لقبال، المرجع السابق، ص 189.

الفصل الثاني

عوامل ازدهار الحركة الثقافية

في الدولة الرستمية وعلاقتها

١- عوامل ازدهار الحركة الثقافية

١- علاقتها الثقافية

I - عوامل الازدهار

1- دور الأئمة الرستميين في الحركة الثقافية:

مما لا شك فيه، أن النهضة الفكرية في الدولة الرستمية كانت وليدة عوامل وظروف عدة، وعن جهود إسهامات الأئمة الرستميين في تنشيط وتفعيل الحركة الفكرية والعلمية، وكذا عن طريق تشييد المساجد والدور العلمية، وجلب الكتب من المشرق، وعقد الحلقات في المساجد¹، لقد كان البيت الرستمي قائماً على تقديس العلم وفقاً لما أكدته رواية لأحد أئمة بني رستم بقوله: "معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعرف القمر في أية منزلة هو في كل ليلة"².

وهذا ما نرى أن الأئمة الرستميين متضلعون في العلم إذ أن العلم شرط أساسي في تولي الإمامة، ومن ذلك نجد أن عبد الرحمان بن رستم عالماً³، والذي نجح في تطوير الحياة الثقافية واستمرار الإشعاع الفكري الإباضي مدة 150 سنة⁴، حيث فسر القرآن الكريم، كما أنه ترك ديواناً يحتوي على خطب ومسائل في مختلف فنون العلم⁵، وبالإضافة إلى إلقاء الدروس للمصلين في مسائل مختلفة⁶، ولم يختلف عنه ابنه وخليفته عبد الوهاب، الذي نسب في بيت علم على يد بعض العلماء أمثال أبو داود القبلي وغيرهم⁷، فكان له دور كبير في تنشيط حركة العلم في تيهرت⁸، ومن المؤلفات التي نسبها إليه ابن الصغير هي "مسائل نفوسة"⁹.

ونظراً لاتساع معارفه في فنون العلم وقوة فهمه، كان الإمام يبعث بالأموال إلى العراق لشراء الكتب، ولا يمل من قراءتها مهما كانت الظروف سواءً أن كان صيفاً أو شتاءً حتى ختمها. حيث قال: "أحمد الله إذ وجدت جميع ما فيها محفوظاً عندي ولم

1- فاطمة مطهري، (عوامل ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في الدولة الرستمية ودور المرأة فيها خلال 302هـ-908م)، دورية كان التاريخية، العدد التاسع عشر، 2013م، ص 101.

2- الشماخي، المصدر السابق، ص 193.

3- الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 68-69.

4- البغطوري، المصدر السابق، ص13.

5- الباروني، المرجع السابق، ص 267.

6- بحاز، المرجع السابق، ص 267.

7- صالح معيوف مفتاح، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية، مؤسسة تاولت الثقافية (د.م.ن)، (د.ط)، 2006م، ص74.

8- أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 100.

9- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 45.

أستفد منها إلا لو سئلت أجبت فيها قياساً وقيل أن الإمام عبد الوهاب جاءت مع أخته يتعلمان مسائل الفرائض فلما يطلع عليهما الفجر إلا وهما تعلمهما جميعاً¹.

أما الإمام أفلح بن عبد الوهاب فيعتبر عهده من أزهى عصور الدولة الرستمية ثقافة وفكراً، فقد كان قبل توليه الإمامة يعقد بين يديه ثلاث حلقات في علم الفقه والكلام واللغة، وله أجوبة ونوازل تخص مسائل الفقهية، فأصبح من العلماء المشهورين، وانفراد بأقوال في علم الكلام²، كما حث على دراسة الكتب حيث قال عليكم بدراسة كتب المسلمين لاسيما، كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل³.

كما كان أفلح عبد الوهاب شاعراً وعالمياً⁴، نظم ديواناً في الشعر يحث فيها على طلب العلم⁵.

أما في عهد الإمام أبو بكر بن أفلح عهد شعر والأدب والتاريخ، حث على الاهتمام بهما، إضافة إلى ذلك جعل اللغة العربية لغة رسمية⁶.

ومن خلال كتب الطبقات لسير الأئمة الإباضية نجد أن الوسيلة لجؤا إليها لنشر دعوتهم بدءاً بأبي جلال⁷ هي عقدتهم لمجالس تعليمية، ثم تطورت مع تطور الأوضاع على أيام أبي عبيدة ابن سلمة⁸، ومن هذه المدرسة تخرج دعاة الإباضية خاصة من بلاد المغرب الإسلامي عكفوا على تبليغ دعوتهم إلى الأمصار التي قدموا منها وعرفوا باسم حملة العلم⁹.

وعلى هذا الأساس حرص الأئمة الرستميين على التزويد بالعلم من خلال اقتناء الكتب وقراءتها مما أثمر إلى حد كبير في إنعاش العلوم الدينية حتى أضحت تيهرت من

1- محمد حسين كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، مؤسسة تالوت الثقافية، (د.م.ن)، (د.ط)، 2008م، ص 43.

2- فاطمة المطهري، المرجع السابق، ص 102.

3- أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 81.

4- الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 69.

5- دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 334 - 335.

6- فاطمة المطهري، المرجع السابق، ص 102.

7- أبو بلال مرادس: هو أحد طبقات مشايخ، ومن العلماء المشهورين، بلغ في الورع والعلم والديانة، ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 213.

8- سامية مقري، المرجع السابق، ص 11.

9- عوض خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، وزارة التراث القومي والثقافي، سلطنة عمان، ط3، 1994م، ص 39 - 40.

المراكز الثقافية الكبرى في بلاد المغرب¹ بعد القيروان والذي كان بمثابة مدرسة إياضية، يقصدها الكثير من الفرق والمذاهب الدينية لتسامح المذهبي على الرغم من تعدد حلقات المناظرة والجدل بينهم²، مما فتح المجال نحو المزيد من حرية الفكر التي اعتبر في حد ذاتها عاملاً من عوامل تطور الفكر الذي جعل من تيهرت مركز إشعاع ثقافي³، وذلك بفضل اعتناء وتشجيع أئمتها بتزويد مكتبتهم المعصومة بأمهات الكتب⁴، فازدهرت تيهرت وبلغت شهرتها الأفاق، مما جعل الكتاب والرحالة يقصدونها ويشيدونها بها ومن ذلك ما قاله المقدسي واصفاً لها فيقول: "هي بلخ المغرب، قد أحدقت بها النهار، والتقت بها الأشجار، وغابت في البساتين، وانتعش فيه الغريب، واستطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق وأخطاؤا، وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا، هو بلد كبير كثير الخير رحب..."⁵.

ويبدو أن هذه الدولة كانت تنافس في العلوم والحضارة دول أخرى منها الدولة العباسية التي كان لا يشق لها غبار في العلم والأدب والفنون فصمم الأئمة على أن تكون دولتهم مختلفة خاصة في مجال العلم والثقافة، بالإضافة إلى أنها كانت تنافس الدولة الأموية في الحضارة عامة وفي الثقافة خاصة⁶، وهذا بفضل دور تيهرت في الإشعاع الفكري حتى لقبت بعراق المغرب⁷.

2- دور المرأة في الحركة الفكرية:

احتلت المرأة مكانة محترمة في مجتمع بلاد المغرب الأوسط وخاصة في الدولة الرستمية، حيث كانت تتمتع بحرية واسعة وكثيرة الاعتناء بالعلم والشعائر الدينية فقد شاركت المرأة الرستمية في الحركة الفكرية⁸.

1- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 222.

2- فاطمة المطهري، المرجع السابق، ص 103.

3- وزارة المجاهدين، الحواضر، ص 34.

4- محمد شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، ط7، 1984م، ص 220.

5- المقدسي، أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991م، ص 228.

6- الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1983م، ص 95.

7- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1977م، مج2، ص 8.

8- الحريري، المرجع السابق، ص 238.

فبلغت درجة ذكاء فائقة ودرجة عالية في الرأي الصائب والسديد، وممن نبغ في العلوم في البيت الرستمي أخت الإمام أفلح التي عرفت ببراعتها في علم الحساب والفلك والتنجيم¹ وسهرت ذات ليلة مع أخيها يتدارسون علم الحساب وبدأها بقوله لها: "هَلْ نَحْسِبُ مَاذَا يَذْبَحُ السُّوقُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ"²، وكانت أيضا أخت عمرو بن فتح³ قاضي جبل نفوسة عالمة فقيهة⁴ إذ كانت المساعد الأساسي لأخيها في استنتاج مدونة أبي غانم بشير بن غانم الخراساني حيث كانت تملي عليه وهكذا حتى أتيا على نسخ الكتاب كله وهو اثني عشر جزءا⁵، وممن بلغن الذكاء والعلم عجوز في نفوسة كانت مشهورة بالعلم والدين والصلاح استشارها أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني في تحميل مقاليد الحكم التي أكلها إليه الإمام عبد الوهاب في توليه أمور الجبل وقد عرضت عليه القبول وأقامت عليه الحجج⁶، ولم يقتصر دور المرأة على هذا فقط بل وجدت من النساء من فتحن أبواب بيوتهم للعلماء يعقدون فيها مجالسهم العلمية كفعل بهلوله⁷ إحدى نساء نفوسة مع أبي ذر أبان بن وسيم الويغوي الذي كان له حلقة درس في منزلها، فهذا يعبر عن المستوى الرفيع الذي بلغه الإهتمام في الدولة الرستمية ليس من طرف الحكام أو الرجال فحسب إنما إلى جانبهما المرأة التي اهتمت دوما بمعرفة فقه مذهبها ودينها بصفة عامة⁸ فكثير منهن من بلغن منزلة كبيرة في العلم وفي الفقه بوجه خاص ونذكر منهن العالمة زورغ الأرجانية⁹ وهي من تلاميذ أبان بن وسيم النفوسي والتي قيل عنها ثلث علم أهل الجبل وأم

1- مزهودي، المرجع السابق، ص 380.

2- رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر (د.ط)، 1984م، ص 112.

3- عمرو بن فتح: من أبناء جبل نفوسة نشأ في قرية قطرس ولى القضاء في الجبل، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 321.

4- أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 104.

5- بحاز، المرجع السابق، ص 380.

6- فاطمة المطهري، المرجع السابق، ص 105 .

7- بهلوله امرأة فاضلة من جبل نفوسة أخذت العلم في حلقة ذر أبان بن وسيم الويغوي، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 100.

8- بحاز، المرجع السابق، ص 379.

9- زورغ الأرجانية: امرأة من نفوسة من أهل أرجان عابدة صالحة عالمة، بلغت مبلغا عظيما في العلم، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 163.

الربيع الوريورية¹ امرأة فاضلة اشتهرت بالعلم والكلام ما جعل المشايخ يلجئون إليها للمشاورة والمناقشة العلمية².

1- أم الربيع الوريورية، امرأة فاضلة اشتهرت بالعلم والكلام أفاض الله عليها ثروة طائلة أنفقت جلها في سبيل العلم، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 149.

2- فاطمة المطهري، المرجع السابق، ص 106.

II - علاقتها الثقافية

1 - مع بلدان المغرب:

من المعروف أن مركز تيهرت المتوسط في بلاد المغرب له أكثر من دور في ربط عواصم المغرب العربي ببعضها، ومن المعلوم أيضا أن الثقافة كثيرا ما كانت بضائع في رحال التجار، لهذا لا نستبعد أن تكون الحركة التجارية النشطة التي عرفت تيهرت خاصة والدولة الرستمية عامة قد واكبتها حركة فكرية¹ والتي ترتب عنها علاقات ثقافية مع البلدان التالية:

أ - الأغالبة (184هـ - 800م)، (296هـ - 909م):

أخذت العلاقات بين بنو رستم و الأغالبة طابعا عدائيا وكان ذلك لأسباب مذهبية وسياسية وجغرافية فضلا عن ذلك فالأغالبة كانوا من الموالين للخلافة العباسية بالمشرق وأداتها في المغرب² والواقع أن الأغالبة لم يشكلوا خطر مباشر على تيهرت، إنما ركزوا جهودهم في منطقة طرابلس وجبل نفوسة³.

ومن المتعارف عليه أن تيهرت لها مكانتها العلمية والثقافية على الرغم من الاضطرابات والقلقل الكثيرة التي سادتها⁴، وفي نفس الوقت شهدت القيروان حركة علمية بسيطة، حيث لم تكن هاتان العاصمتان بمعزل عن بعضهما، بل كان هناك تأثير متبادل، فتم التزاوج الحضاري بينهما بطريق شعبي ونعني به التجار والحجاج والعلماء والذين ساهموا في نشر الثقافة الإسلامية العربية في الأوساط الشعبية⁵ وليالي سهرهم وحلقات اجتماعاتهم بالإضافة إلى رحيل عددا من علماء القيروان إلى تيهرت وهذا ما يمثل الروابط الثقافية الحسنة بين المنطقتين وترتب عنها المساهمة الفعالة في التبادل العلمي بين البلدين⁶.

1- بحاز، المرجع السابق، ص 382.

2- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 187.

3- ليبري بلخير، العلاقات السياسية الرستمية ودول المغرب الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، مجلة المقتطف المصرية التاريخية، العدد 5، 2010م، ص 38.

4- محمود إسماعيل، الأغالبة، ص 134.

5- هناك من يفند وجود علاقات ثقافية بينهما حيث كان السبب الرئيسي في انعدام الروابط والاتصالات الفكرية بين الطرفين هو الاختلاف المذهبي، ينظر: المرجع نفسه، ص 134.

6- جودت، المرجع السابق، ص 111.

ب - الأدارسة (172هـ - 788م)، (375هـ - 991م):

اتسمت العلاقات بين الأدارسة وبني رستم بالعداء نتيجة خلافاتهم المذهبية والاجتماعية والسياسية فالأدارسة شيعة أسسوا دولة ذات طابع حضاري أما بنو رستم فكانوا خوارج إباضية¹ ولا نعرف عن العلاقة الثقافية بينهما إلا ما كان من الشاعر التيهرتي بكر حماد الذي مدح بعض حكام الأدارسة ولعله انتقل هناك لهذا الغرض².

ج - مع بنو مدرار (140هـ - 757م)، (772هـ - 976م):

قامت إلى الجنوب الغربي لحدود الدولة الرستمية دولة مدرار في سجلماسة سنة (140هـ - 757م) على المذهب الصفري وعلى هذا فأصحابها ينتمون إلى المذهب الخارجي مثلهم في ذلك مثل الرستميين ولذلك كانت بين الدولتين أواصر المودة والصداقة وسعت كل دولة إلى احترام الأخرى لها³، ومما زاد الصداقة بين الدولتين هو مصاهرة اليسع بن أبي القاسم سمكوا من عبد الرحمن بن رستم تزويج ابنه مدرار من أروى ابنة عبد الرحمان⁴، ومع العلم أن اليسع أبي القاسم كان إباضيا صفويا وهذا يدل على تأثير الإباضية في الدولة المدرارية و يشكل جزءاً من العلاقة الثقافية بين البلدين اتسمت دائماً بالتأثير ولم يقتصر وجود الإباضية عند اليسع فقط، فقد كان ابن الجمع من العلماء الإباضية غزير العلم استوطن سجلماسة ودرس بها وكان أبرز تلاميذه بها أبو الربيع، الذي بلغ من العلوم ما لم يبلغه كثير ممن في عصره، واستمرت سجلماسة في اتصال بأبي الربيع بعد مغادرته لها، وهذا من أبرز مظاهر العلاقة الثقافية معها⁵. ومما سبق يتضح لنا أن علاقة تيهرت بسجلماسة مبنية على أطرودية وانعكس على الجانب الثقافي والذي كان له الدور البارز في نمو الحركة الفكرية بين البلدين.

1- سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة، المغرب "العصر الذهبي" (172هـ - 663م)، (788م - 835)، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1987م، ص166.

2- بحاز، المرجع السابق، ص 384.

3- الحريري، المرجع السابق، ص 206.

4- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 140.

5- بحاز، المرجع السابق، ص ص 384 - 385.

2- مع الأندلس:

بحكم موقع بني رستم الجغرافي في المغرب الأوسط، وظروفه السياسية والمذهبية توجهوا إلى بني أمية في الأندلس وعقدوا معهم تحالفا وديا لأنهم كانوا يستوطنون مواقع العدو الشرقي المتمثل في الأغلبية والعدو الغربي المتمثل في الأدارسة وبني سليمان العلويين، وكان من الطبيعي في هذه الحالة أن يحدث تقارب ودي بغض النظر عن الاختلاف المذهبي، فبنو أمية سنيون وبني رستم خوارج إباضية حيث كان التقارب في شتى المجالات بما فيها العسكري والسياسي والاقتصادي والحضاري الثقافي¹، إلا أننا هنا سنخص بالذكر التقارب الثقافي، حيث كانت العلاقات الثقافية مميزة، وأصبحت الدولة الرستمية الجسر الذي يضمن استمرار التدفق الأموي في الأندلس إلى المشرق²، كما كان للجالية الأندلسية في تيهرت آثارها على الحياة الثقافية في الدولة الرستمية، هذا الأمر أدى إلى حرص أمراء بني أمية على استغلال هذا الجسر من التواصل الحضاري مع المشرق، فعن طريق الرستميين نجح أمراء بني أمية في الحصول على كل ما يحتاجونه من كنوز ومؤلفات الشرق وكذا علمائه ومما ساعدهم ذلك امتلاك الرستميين لمكتبات ضخمة عرفت بالمعصومة، المذكورة سابقا والتي ضمت أمهات الكتب فضلا عن جهود علماء الدولة نفسها، وبذلك فإن حكام تيهرت قد قاموا بدور الوسيط الثقافي حيث أخذوا عن المشرق وأعطوا للأندلس³، ونتيجة لهذا الدور الثقافي الذي اضطلع به الرستميون، ظهرت مؤثرات إباضية في بلاد الأندلس إذ أنه من الطبيعي أن تترك هذه العلاقات القوية آثارها في الشعب الأندلسي، وإن لم يكن لها من القوة ما يظهرها بشكل واضح نتيجة لسيطرة العقيدة السنية المطلقة على الأندلسيين، وقد ظهرت هذه التأثيرات عندما كان أحد المعلمين الخمسة في قرطبة واسمه جابر بن غيث اللبلي، يعلم أبناء الوزير

1- عبد العزيز فيلاني، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر، القاهرة، ط2، 1999م، ص 96.

2- فراس سليم حياوي، محمد عيسى حميد، (الدولة الرستمية وعلاقتها الخارجية)، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 10، جامعة بابل، العراق، 2013م، ص 181.

3- عبد القادر بوباية، (علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس)، مجلة التراث العربي، شبكة الدرة الإسلامية: www.aldura.net، ص 389.

هشام عبد العزيز¹ وكان هذا المعلم شديداً حتى أنه كان في صرامته يقارب الإباضية²، كما كان هناك عددا كبيرا من علماء المغرب الأوسط، قصدوا الأندلس من أجل العلم، وتصدوا للفقهاء كأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمان التنسي، الذي يفتي بجامع الزهراء، وعبد الرحمان بن بكر بن حماد التاهرتي، والعلماء التيهريين الذين قصدوا الأندلس للتعليم والتعلم قاسم بن عبد الرحمان بن عبد الله بن محمد التميمي التيهرتي، وابنه أبي الفضل أحمد، المعروف بالبازار، حيث دخلا الأندلس سنة (317هـ - 929م) وكان البزاز صغير السن وتعلم بقرطبة في حين أن أباه كان من جلساء بكر بن حماد وممن أخذ عنه، وأقاما بعاصمة الأندلس، ولعل في وجود أندلسيين إباضية بتيهت منذ تعيين عبد الرحمان بن رستم قبيل وفاته أندلسيان اثنان هما مسعود الأندلسي وعمران بن مروان، ولاشك أنهما بلغا في العلم درجة عالية إذ أن مجرد ترشيحهما للإمامة يدل على عمق العلاقة الثقافية بين تيهت والأندلس³.

هذا فقد عرفت الأندلس مذاهب الخوارج، فإن وجود الإباضيين هناك يعني أن الفكر الإباضي قد أخذ طريقه إلى الأندلس مع أفكار غيره من المذهب سواء بطريق العلماء أو العامة.

لما كانت تيهت تعتبر قاعدة المذهب الإباضي في المغرب الإسلامي، فهذا يفصح عن وجود علاقة بين إباضية تيهت وإباضية الأندلس ومن المحتمل أن هؤلاء الأندلسيين قد ظلوا على اتصال بعاصمة مذهبهم يستشيرونها فيها ما يجد من قضايا، ويستمدونها بالمؤلفات فنقلوا ما وضع إباضية تيهت للرد على المخالفين وغير ذلك، وليس شرطا أن يكون لأئمة تيهت ضلع في هذا التبادل الفكري الثقافي، فقد يكون ذلك بمجهودات فردية وعمل منظم من قبل بعض العلماء⁴.

1- هشام عبد العزيز: هو أحد رجالات المروانية بالأندلس، اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في أهل زمانه من فروسية وغيرها، ينظر: ابن الأبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله، *الحلة السيرة*، تح: حسين مؤنس دار المعارف، القاهرة، ط1، 1963م، ج2، ص 137.

2- عبد القادر بويابة، المرجع السابق، 389.

3- بحاز، المرجع السابق، ص ص 386 - 387.

4- جودت، المرجع السابق، ص 170.

ولم يقتصر التبادل الثقافي على ما مضى، بل ساهم إلى جانبهم علماء مذاهب أخرى كالشافعي¹ والظاهري²، فإن ظهور هذه المذاهب في الأندلس يعني أن علماء هذه المذاهب قد أثروا وتأثروا بتيهت، وليس هناك ما يحول في تيهت دون نشر كتبهم وعقد جلسات مناظرة مع علمائها، سواء مع أبناء مذهبهم أو مخالفين، ولم يكتفي التأثير على الناحية المذهبية بل تعدى مختلف نواحي الحياة العلمية والفنية فقد نقلت الكثير من الشرق مثل كتاب التاريخ لخليفة بن خياط وغيره³.

ومما سبق ذكره يتجلى بوضوح مدى الارتباط الثقافي الوثيق الذي كان بين الدولة الرستمية في تيهت والإمارة الأموية في الأندلس، وهذا ما يعزز وجود تبادل ثقافي بين البلدين بطريق شعبي و يقصد به جماعة الراحلين من الأندلسيين والتهرتيين⁴، وكذلك برغبة الحكام في خدمة مصالح شعبيهما ومن ورائها مصالح الشعوب الإسلامية وبخاصة في بلاد الأندلس التي كانت تواجه هجمات سرشة من قبل النصاري الطامعين في استرجاعها وإخراجها من حظيرة العالم الإسلامي⁵.

3- مع السودان:

شكلت الصحراء من خلال حركة القوافل التجارية فرصة من خلالها قام الإباضيون بجهود كبيرة في نشر الإسلام في أماكن كثيرة، وكان لهم فضل كبير في هذا الشأن في كل من إفريقيا الشرقية وإفريقيا السوداء وجنوب الصحراء⁶، إلى أن وصل إلى عمق

1- الشافعي: هو محمد بن ادريس الشافعي الإمام القرشي، ولد سنة (150هـ - 767م) بغزة، أباه قرشي ينتمي إلى عبد المطلب بن هاشم جد النبي "صلى الله عليه وسلم" فتق أصول الفقه فتكشفت عن عيون صافية من العلم لم يسبق تدوينها والتعبير عنها وقدرتها الأجيال ما بعده، ينظر: أبو زهرة، المرجع السابق، ص 407 - 408.

2- الظاهري: نسبة إلى الإمام داود بن علي الأصبهاني ولد سنة (202هـ - 818م)، تخرج في الفقه على تلاميذ الشافعي، تأثر بالفقه الشافعي في الأخذ بالنصوص ثم تغير إلى الظاهري لأن أول من أظهر القول بظاهرية الشريعة وأخذ الأحكام من ظواهر النصوص، توفي (870هـ - 884م)، ينظر: المرجع نفسه، ص 504.

3- جودت، المرجع السابق، ص 176.

4- المرجع نفسه، ص 166.

5- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص 371.

6- خليفات، المرجع السابق، ص 52.

الصحراء أين أسلم الكثير وعلى رأسهم الملوك الذين اعتنقوه الإسلام على يد مشايخ نفوسة¹.

وهذا تأكيد على أن الإسلام وصل عن طريق التجار الإباضيين من رعايا الدولة الرستمية حتى غلبت الإباضية عن القرى بأكملها. ولا يبدو ذلك مستبعدا في ظل ما أشار إليه ابن بطوطة بوجود قرية في بلاد السودان اسمها زاغري يسكنها جماعة البيضان إلى جانب السودانيين التجار²، ولا شك أن ذلك سيكون له تطورات وتأثيرات متعددة الجوانب وهذا دلالة على التواصل والتركيز الإباضي وبقائه في السودان. ونحن نعلم أن الإباضيين شغلهم الشاغر هو نشر تعاليم المذهب الإباضي.

وما دام أنه وصل إلى أرض السودان فمن البديهي أنه انتقلت معه عادات وتقاليده المنطقة ومؤثراتهم الثقافية، وهذا من خلال ما أشار إليه بحاز مستندا في ذلك إلى ما أثبتته الأستاذ "شاخت" الذي لاحظ في مساجد بعض تلك الأقوام وجود هندسيات متشابهة تماما كما عند الإباضية ووادي ميزاب وورجلان كالمحراب المستطيل الشكل والمئذنة ذات الشكل المستطيل المخروطي³ ومن مظاهر ذلك التأثير الحضاري للمغرب على السودان العربي ككتاباتهم بالخط المغربي كما يقول ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأمصار إضافة لطبيعة لباسهم وعمائمهم⁴.

كما كانت مدينة تنبكتو بالإضافة إلى نشاط الحركة التجارية نحوها كان لها تواصل مع العنصر الوافد إليها فأحسنست استقبالهم وهذا دلالة على عمق التواصل مع العرب والمسلمين من مثل ما خلفهم أبو إسحاق الساحلي الغرناطي من أثار معمارية ظل يسهر على تشييدها حتى وفته الأقدار بتلك الديار فأقبر بها⁵، أي أن هناك مراكز ثقافية كان

1- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 299.

2- ابن بطوطة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، رحلة ابن بطوطة في غرائب وعجائب الإسفار، دار الفكر، لبنان، ط1، 2003م، ص 371.

3- بحاز، المرجع السابق، ص 389.

4- نبيلة حسن، تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة، مصر، (د.ط)، 2005م، ص 136.

5- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 286 - 287.

يقطن بها وينشر بها تعاليمه وثقافته وبالتالي مزج الثقافتين وتقبلها من طرف السودانيين¹.

كما زار احد المشايخ التناوتية الذي روى عنه أنه سافر إلى غانة² فلم يصلي صلاة قط بغير ماء حتى رجع³ وهذا يوضح لنا المدة التي قضاها هذا الشيخ في السودان و يؤكد على وجود تواصل بينهما وأن السودانيين قد تعلم اللغة العربية والبربرية أي لغة أهل المغرب خاصة ونحن نعلم أن الإسلام قد انتشر بهذه البقاع "أواخر القرن الواحد هجري والسابع ميلادي"⁴ وتعلموا ثقافتهم من خلال هذه الوفود سوى كانوا تجار أم كانوا أئمة علم كما مثلت محطات جميع وتوزيع القوافل وملتقى لتبادل البضائع إلى جانب هذه التجارة مراكز إشعاع مع بلاد السودان من خلال دعم العلاقات الثقافية⁵ مع غاو⁶.

كما مثلت تكدة الواقعة جنوب غرب ورجلان بنحو عشرين مرحلة منها وهي قاعدة المثلثين المنتميين إلى صنهاجة وهي نقطة تحرك الحجيج من السودان⁷، فبالتالي موسم الحج كان له دور كبير في تبادل الثقافات بين الشعوب وهذا ما لعبه بين بلاد السودان وبلاد المغرب من خلال تبادل المعارف، فعلى ما يبدو أن السودان ليس لها اتصال بشيء من الممالك إلا من جهة المغرب لصعوبة المسلك بينها وبين سائر الأمم⁸، ومع استمرار

- 1- البكري أبو عبيدة الله عبد العزيز، المسالك والممالك، تح: جمال الصليبة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1992م، ص 370.
- 2- غانة: هي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان يتجمع فيها التجار، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 184.
- 3- القلقشندي أبو العباس أحمد، صبحي الأعشى، دار الكتب المصرية، مصر، (د.ط)، 1992م، ج5، ص 173.
- 4- يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية في مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2001م، ص 30.
- 5- إبراهيم فخار، تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى، (د.د.ن)، الجزائر، (د.ط)، (د.س.ط)، ص 50.
- 6- غاو: أسست في القرن الثاني للهجري والثامن للميلادي، على الضفة الشرقية لمنحنى نهر النيجر واستوطنها عناصر من البربر، ينظر: يحيى بوعزيز، تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية، ص 190.
- 7- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 72.
- 8- الإصطخري أبو إسحاق، المسالك والممالك، تح: محمد عبد العال محمد شفيق غربال، دار القلم، مصر، (د.ط)، 1961م، ص 35.

الحركة التجارية للمغرب الأوسط مع بلاد السودان أثر ذلك على دعم العلاقات المودة والصداقة بينهما ومن هنا كان الامتزاج والاختلاط بين رعاياهم¹.

وقد كان للإمام افلح علاقة مودة مع ملوك السودان²، و ربما كان ذلك إشارة إلى اشتداد الحركة نحو بلاد السودان والتواصل الثقافي معها كما اخبرنا ابن الصغير عن اهتمام الرستميين بتأمين المسالك³، حتى يسهل انتقال المؤثرات والوفود. وفي إطار توثيق الصلات الرستمية، الإشارة الإمام بني رستم مع بلاد السودان جاءه وفادة الإمام افلح برئاسة محمد بن عرفة وقد تطورت هذه العلاقات إلى حد الترحيب⁴.

وقد استمرت هذه الاتصالات حتى بعد سقوط هذه الدولة (296هـ - 908م) وبالمقابل من ذلك نجد ملك مالي منسا موسى⁵، للسلطان أبي الحسن بتلمسان⁶، أيام بني زيان ولعل مرد ذلك الواقع ما تم التأسيس له من شبكة العلاقات الواسعة التي نعتقد أنها ربما تعود إلى الفترة الرستمية، بل نجد أن هذه العلاقات قد تطورت لمستوى تحولت معه إلى حد المصاهرة والزواج وهذا دليل على استقرار وفود البلدين ببعضهما ومن ذلك ما أشار إليه الدرجيني إلى أن شخص يدعى عبد الله بن الأمير من أهل المغرب كان "من الأمة السوداء وكان ذلك غالبا على لونه"⁷ وهذا ما أكد التواصل بين البلدين.

ومن الآثار التي تركتها العلاقة مع بلاد السودان هو وصول الإسلام لأغلب تلك المناطق وبالتالي تعريب جزاء منها، بما أن اللغة العربية هي اللغة القرآن ولا يتم تعلمه أو حفظه إلا بها، بالإضافة إلى احتكاكهم الدائم والمستمر خاصة مع رعايا الدولة

1- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 282.

2- الباروني، المرجع السابق، ص 234.

3- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 31.

4- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 31.

5- منسا موسى: وتعني السلطان أو الملك في مملكة سنغاي الإسلامية، ينظر: إمطير سعد غيث، التأثير الإسلامي في

السودان العربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، دار الرواد، بنغازي، ط1، 1996م، ص 60.

6- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 266.

7- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 414.

الرستمية، سواء كانوا تجارا أو وافدين، وقد استعارت قوامها من العربية ومن البربرية ومن اللغات الإفريقية¹.

4 - مع دويلات المشرق:

لعل الحج يعتبر أهم وسيلة ربطت المغرب بالمشرق، فلقد تجاوب المغاربة مع هذا الركن من الدين وتحمسوا له فكانت أمنية الواحد منهم منذ حسن إسلامه أن يقوم بهذه الرحلة الدينية العلمية².

فلقد قيل عن أهل جبل نفوسة أنهم كانوا أكثر الناس حجا وأذكاهم نهجا وأنهم يحجون بالنساء والأولاد حتى قيل أنه ولد لهم في ركب واحد ثلاث مائة صبي ذكورا³، ولم يقتصر هذا الاهتمام على أهل جبل نفوسة وحدهم بل إن قوافل الحج كذلك كانت تخرج من تيهرت.

فلاشك أن هذا الاهتمام وهذه الأعداد الكبيرة من الحجاج المغاربة كانت تستفيد من الحج بالاتصال بمشائخ المشرق وعلمائه، فيتزودون من منابع العلم والمعرفة ويستفيدون من دروس الوعظ والإرشاد التي لا تعرف توقف في ذلك الموسم⁴ ومثال ذلك فعل عمرو وأصحابهم عندما قدموا مكة حجاجاً دخلوا على محمد بن محبوب أحد علماء المشرق، في مجلسه فأذنهم إليه تعظيماً فلما تبوأ للمذاكرة سأل عمرو عن مسألة فقال ابن محبوب إذا كان أبو حفص في شيء من هذا البلد فهذا السؤال منه فقالوا له هو السائل فرفع ابن محبوب مجلسه وزاد في دنوه فجعل عمرو يسأله في مسائل الدماء وأكثر⁵.

1- بحاز، المرجع السابق، ص 388.

2- المرجع نفسه، ص 390.

3- الشماخي، المصدر السابق، ص 224.

4- بحاز، المرجع السابق، ص 391.

5- الشماخي، المصدر السابق، ص 222.

أ - مصر

كانت العلاقات الثقافية بين مصر والدولة الرستمية واسعة، وذلك لقربها من جهة ولكونها تقع على طريق القوافل المؤدية إلى الشرق من جهة أخرى¹، فضلا عن ذلك هو أن عددا كبيرا من المصريين كانوا على المذهب الإباضي²، ومن هؤلاء شعيب بن معروف المصري³ الذي استفتته الإمام عبد الوهاب في مسألة النكار أيام الفتنة⁴، وكذلك ابن عباد الذي استفتته الإمام أيضا في مسألة خروجه للحج⁵.

ومن العلماء الذين التقوا بإخوانهم في مصر لوأب بن سلام وأبيه إذ التقى لوأب بالعالم الإباضي محمد بن عبد الملك الحجازي قبل سنة (250هـ - 865م)⁶.

ب - العباسيين

ارتبطت علاقة الرستميين الخارجية بالعباسيين بعاملين كانا ذا أثر كبير في طابع العداء الذي اتسمت به تلك العلاقة.

1. أن العباسيين يعتبرون بلاد المغرب كلها ميراثا شرعيا تركه الأمويين لهم.

2. كان بين العباسيين والرستميين ذلك العداء التقليدي الذي كان بين الخلافة العباسية السنية، وبين الإباضية باعتبارهم أنهم فرقة من الخوارج.

ولهذين السببين كانت العلاقة تمضي تارة بين العداء وتارة بين التحسن، كانت العلاقة الثقافية قائمة بينهما وظهرت معالم هذه العلاقات الثقافية في الصلة القوية بين الرستميين و إباضية المشرق الذين كانوا من الناحية الشكلية من رعايا الدولة العباسية⁷

1- فراس سليم، محمد عبيس حميد، المرجع السابق، ص 181.

2- الحريري، المرجع السابق، ص 191 .

3- شعيب بن معروف المصري: هو أحد علماء الإباضية بمصر تلقى العلم على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة، ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 221.

4- أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 58.

5- المصدر نفسه، ص 76.

6- بحاز، المرجع السابق، ص 393.

7- جودت ، المرجع السابق، ص 187 - 190.

في بغداد والبصرة وغيرها، وكانت هذه الصلات متجسدة إما بتبادل كتب أو رحيل العلماء من الطرفين¹.

فعن تبادل الكتب منها فعل الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم الذي أرسل ألف دينار إلى المشرق إلى إخوانه بالبصرة ليشتروا له بها كتباً، فلما وصلهم المبلغ اشتروا به رقاً فنسخوا له فيها وقر أربعين جماً كتباً وكذلك أرسل الإمام كتاب "مسائل نفوسة" إلى إخوانه بالبصرة².

أما عن العلماء الذين انتقلوا من تيهرت إلى البصرة في العراق بكر بن حماد بن سهل بن أبي اسماعيل الزناتي التيهرتي وهو من شعراء الطبقة الأولى في عصره، كان فقيهاً عالماً بالحديث³، رحل إلى البصرة سنة 217هـ فلقى بها مسدد بن مسرهد وعمر بن مرزوق وجماعة من العلماء ولقى من الشعراء في ذلك الوقت، دعبلاً وبن الجهم وصُريفاً وغيره⁴، وكذلك عبد العزيز الأوز الفقيه البارع ونفاث بن نصر النفوسي استطاع هذا الأخير أن يأتي إلى المغرب بديوان جابر بن زيد الأزدي الذي حصل عليه كجائزة عندما قام بحل لغز فشل علماء بغداد في حله⁵، وكذلك الإمام أبو اليقظان بن أفلح قبل توليه الحكم فلقد دخل بغداد مرغماً سجيناً وتعلم بالسجن فنونا من السياسة ونظم الإدارة وعند عودته إلى المغرب وتوليه الحكم نقل إلى الإمامة بتيهت تلك التجارب حتى أحسن تسيير البلاد واستطاع القضاء على الفتنة التي هددت تيهت آن ذلك⁶.

أما عن العلماء الذين قاموا برحلات إلى الدولة الرستمية من أهل المشرق منهم أبو غانم بشير بن غانم الخراساني الذي كان لمدونته المشهورة في الفقه لدولة الرستمية الفائدة الكبيرة التي استنسخها عمرو⁷، وكذلك رحلة اليعقوبي المؤرخ والجغرافي العربي، أيام

1- فراس سليم، محمد عبيس حميد، المرجع السابق، ص 170.

2- جودت، المرجع السابق، ص 107.

3- الحريري، المرجع السابق، ص 191.

4- الدباغ، المصدر السابق، ص 281 - 282.

5- بحاز، المرجع السابق، ص 294.

6- أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 94 - 95.

7- الشماخي، المصدر السابق، ص 223.

الإمام أبي حاتم بن أبي اليقظان فلقد كانت لرحلته أثر ثقافي بين الدولة الرستمية وبلاد المشرق فعند زيارته لتيهت وغيرها من أقاليم الدولة نقل مشاهدته التاريخية والجغرافية في كتاب التاريخ والبلدان¹.

وهكذا كان اتصال المغرب بالمشرق بمختلف أشكاله والدور البارز في تغذية الفكر العربي الإسلامي².

1- بحاز، المرجع السابق، ص 396.

2- المرجع نفسه، ص 398.

خاتمة

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع الحركة العلمية والثقافية في عهد الدولة الرستمية توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات كانت حوصلة لمذكرتنا نبرزها في الآتي:

إن مكانة تيهرت الحضارية كعاصمة للدولة الرستمية الإباضية لا تقل عن غيرها من العواصم الكبرى المغربية والمشرقية والأندلسية رغم قصر عمرها وهذا ما جعل البعض يشبهها مثل بغداد، دمشق، قرطبة، وما ذلك إلا بفضل ما أنجبته من علماء وأدباء وشعراء وفقهاء وما استقطبته من رجال الفكر والثقافة الذين كان لهم إنتاج فكري وفقهي متنوع وكثيف.

اهتم علماء تيهرت بالعلوم الدينية والمذهبية والقضايا الأخلاقية، وذلك للظروف الصعبة التي أحاطت بفرق الخوارج عامة ومنها الإباضية في القرون الهجرية الثلاثة الثاني، الثالث، الرابع تلك الفترة التي تصارعت فيها الفرق المذهبية الإسلامية وتحاورت وتقاتلت فيما بينها واصطدمت أكثر من مرة، وفي أكثر من موطن ولذلك تجند علماء الإباضية للرد على الخصوم وشرح نظرياتهم وتوضيح مواقفهم وفلسفات شيوخهم وأئمتهم والمجتهدين منهم فأثروا بذلك الفكر الفقهي الإباضي إثراء كبيرا وألفوا كتباً كثيرة ومتنوعة في مختلف القضايا وما تزال حتى اليوم مرجعاً هاماً للمختصين والمجتهدين والذين يهتمون بالفقه المقارن.

كما انصبَّ اهتمام علماء المذهب الإباضي في تيهرت وغيرها بعلم الكلام والمنطق والجدل والفلسفة والحكمة والقضايا الأخلاقية فبعثوا في الفكر الإسلامي حيوية منقطعة النظير ساعدت العلماء والمفكرين على الإبداع الفكري.

كان معظم أئمة الدولة الرستمية علماء وأدباء وشعراء يهتمون بالعلم وقضايا الفكر والثقافة ويجلون العلماء والفقهاء والشعراء ويتخذون منهم مستشارين لهم ويقربون منهم ويستندون إليهم مناصب الوزراء والقضايا وحكام أقاليم ويعقدون معهم

مناظرات ومحاورات علمية، فكرية، أخلاقية ونظرية ويهتمون بجمع الكتب ونسخها وإسجالاتها من كل مكان.

إذن فإن بصمات العلماء الإباضيين في تيهرت وخارجها في العلوم والمعارف الإسلامية واضحة وبارزة ولا تحتاج لأي دليل وإن اسهماتهم لهذا المجال أحد أبرز الروافد الكبرى للحضارة العربية الإسلامية في هذه البلاد.

قائمة المصادر والمراجع

I - المصادر:

1. القرآن الكريم

II - المصادر المخطوطة:

2. البرادي، الجواهر المنتقاة، كلية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ورقة 173.

III - المصادر المطبوعة:

3. ابن الآبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله، الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس دار المعارف، القاهرة، ط1، 1963م، ج2.

4. ابن الأثير أبي الحسن علي، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، ج8.

5. أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني، سير الوسياني، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصيانه، نشر وزارة التراث والثقافة، عمان، ط1، 1430هـ، 2009م، ج1، ج2 .

6. ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين القرن الثالث، تح: إبراهيم بحاز ومحمد ناصر، الجزائر، (د.ط)، 1985م.

7. ابن بطوطة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، رحلة ابن بطوطة في غرائب وعجائب الإسفار، دار الفكر، لبنان، ط1، 2003م.

8. أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، (د.س.ط).

9. ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط4، 2000م، ج4، ج6، ج7.

10. أبي زكرياء يحيى، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، (د.ط)، 1979م.
11. أبو منصور البغدادي، الفرق بين الفرق، تح: محمد عثمان الخشين، مكتبة ابن سينا، مصر، (د.ط)، (د.ت.ط).
12. الإصطخري أبو إسحاق، المسالك والممالك، تح: محمد عبد العال محمد شفيق غربال، دار القلم، مصر، (د.ط)، 1961م.
13. البغطوري مقرين بن محمد، سير مشائخ نفوسة، تح: توفيق الشقروني، مؤسسة تالوت الثقافية، (د.م.ن)، (د.ط)، 2009م.
14. البكري أبو عبيدة الله عبد العزيز، المسالك والممالك، تح: جمال الصليبة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1992م.
15. خليكان أبو العباس، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح: حسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1980م، مج3.
16. الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأسيدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: محمد الأحمد أبو النون، مكتبة الخانجي، مصر، (د.ط)، (د.س.ط)، ج2.
17. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلال، مطبعة البحث، الجزائر، (د.ط)، 1974م، ج1، ج2.
18. الشامخي أبو العباس أحمد بن سعيد، كتاب السير، دار الأبحاث، تلمسان، ط1، 2011.
19. عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانج، مصر، (د.ط)، (د.س.ط).
20. القلقشندي أبو العباس أحمد، صبحي الأعشى، دار الكتب المصرية، مصر، (د.ط)، 1992م، ج5.
21. المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس، تح: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1983م.

22. المقدسي، أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991م.
23. اليعقوبي حسن بن أبي يعقوب، البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م.
24. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1977م، مج2.

IV- المراجع:

25. إبراهيم بحاز بكير، الدولة الرستمية (160 - 269هـ)، (777 - 909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، ط1، 1985م.
26. إبراهيم فخار، تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار اللبيين في حضارة الصحراء الكبرى، (د.د.ن)، الجزائر، (د.ط)، (د.س.ط).
27. ابن سلام، الإسلام تاريخه من وجهة إباضية، دار إقرأ، (د.م.ن)، ط1، 1985.
28. أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1963م.
29. أحمد عيسى عاشور، الفقه الميسر في العبادات والمعاملات، مكتبة القرآن، مصر، (د.ط)، 1984م.
30. إمطير سعد غيث، التأثير الإسلامي في السودان العربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، دار الرواد، بنغازي، ط1، 1996م.
31. الباروني سليمان باشا، الأزهار الرياضية في أئمة الملوك الإباضية، موقع الاستقامة www.istiqama.net.
32. جودت يوسف عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1984م.

33. حسن إبراهيم حسن طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، (د.ط)، (د.س.ط).
34. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، لبنان، ط1، 1986م.
35. رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، (د.ط)، 1984م.
36. سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة، المغرب "العصر الذهبي (172هـ - 663م)، (788م - 835)، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1987م.
37. صالح معيوف مفتاح، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية، مؤسسة تاوالت الثقافية (د.م.ن)، (د.ط)، 2006م.
38. الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1983م.
39. الطمار محمد، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1404هـ/1984م.
40. عامر النجار، الإباضية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د.ط)، 2004.
41. عبد الرحمان عثمان حجاري، تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي من ق1 هـ إلى ق10 هـ، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، 2000م.
42. عبد العزيز فيلاني، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر، القاهرة، ط2، 1999م.
43. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة للنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.س.ط).
44. علي يحيى معمر، الإباضية في الجزائر، المطبعة الحربية، الجزائر، ط2، 1986م، ج1.

45. عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة، الجزائر، (د.ط)، 2009م، ج1.
46. عوض خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، وزارة التراث القومي والثقافي، سلطنة عمان، ط3، 1994م.
47. ليفيتسكي تاديوش، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا، تر: ماهر جرار، ريماء جرار، مؤسسة تالوت الثقافية، (د.م.ت)، (د.ط)، 2007.
48. محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت.ط).
49. محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم الأعلام الإباضية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2009م، ج2.
50. محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.س.ط).
51. محمد حسين كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، مؤسسة تالوت الثقافية، (د.م.ن)، (د.ط)، 2008م.
52. محمد شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، ط7، 1984م.
53. محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تالوت الثقافية، (د.م.ط) (د.ط)، 2010م، ج2، ج3.
54. محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي "حضارتها علاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس"، دار القلم، مصر، ط3، 1987.
55. محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، دار البيضاء، ط3، 1985م.
56. محمود إسماعيل، الأدارسة (172هـ - 375هـ)، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ط)، (د.س.ط).
57. محمود إسماعيل، الأغلبية سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د.م.ط)، ط3، 2000م.

58. مسعود مزهودي، **جبل نفوسة في العصر الوسيط**، (21 - 442هـ)، (642 - 1035م)، مكتبة الظاهري، سلطنة عمان، (د.ط.)، (د.س.ط.).
59. موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.
60. الملي مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط.)، 1976م، ج2.
61. نبيلة حسن، **تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار المعرفة، مصر، (د.ط.)، 2005م.
62. وزارة المجاهدين، **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، دار القصة، الجزائر، (د.ط.)، 2007م.
63. وزارة المجاهدين، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، مطبعة الديوان، الجزائر، (د.ط.)، 2007م.
64. يحي بوعزيز، **الوجيز في تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009م.
65. يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية في مطلع القرن 16 الي مطلع القرن 20**، دار هومة، الجزائر، 2001م.
66. يوسف على بديوي، **صفحات من تاريخ الإسلام**، دار الأصالة، الجزائر، ط1، 2010م.

V- الدوريات والمجلات:

أ- الدوريات:

67. فاطمة مطهري، **عوامل إزدهار الحركة الفكرية والثقافية في الدولة الرستمية ودور المرأة فيها خلال (302هـ - 908م)**، دورية كان التاريخية، العدد التاسع عشر، 2013م.

ب - المجالات:

68. عبد القادر بوباية، (علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس)، مجلة التراث العربي، شبكة الدرة الإسلامية: www.aldura.net
69. فراس سليم حياوي، محمد عيسى حميد، (الدولة الرستمية وعلاقتها الخارجية)، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 10، جامعة بابل، 2013م
70. قدور وهراني، (جوانب من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لمدينة تاهرت)، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، مج 5، العدد 20، 2010م.
71. ليبري بلخير، (العلاقات السياسية الرستمية ودول المغرب الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)، مجلة المقتطف المصرية التاريخي، العدد 5، 2010م.

VI- الرسائل الجامعية:

72. سامية مقري، "التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2005-2006م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الرقم	شكر وعرفان	مقدمة
أ		
		مدخل لمحة تاريخية عن نشأة الدولة الرستمية
05	I - دخول المذهب الإباضي للمغرب	
06	II - نشأة الدولة الرسمية	
09	III - علاقتها الخارجية	
10	IV - سقوطها	
		الفصل الأول: المؤسسات التعليمية وأبرز العلوم
12	I - المؤسسات التعليمية	
12	1 - الكتاتيب	
14	2 - حلقات العلم في المساجد	
17	3 - المكتبات	
19	II - أبرز العلوم	
19	1- العلوم النقلية	
19	أ - التفسير	
21	ب - الحديث	
22	ج - الفقه	
24	2- العلوم العقلية	
24	أ - علم الكلام	
25	ب - بين البربر والعربية	
30	ج - العربية وآدابها	
34	د - التاريخ	
35	3- العلوم الدنيوية	

35	أ- الطب
35	ب- الحساب وعلم الفلك أو التنجيم
	الفصل الثاني عوامل ازدهار الحركة الثقافية في الدولة الرستمية وعلاقتها
38	أ- عوامل الازدهار
38	1- دور الأئمة الرستميين في الحركة الثقافية
40	2- دور المرأة في الحركة الفكرية
43	II- علاقتها الثقافية
43	1- مع بلدان المغرب
45	2- مع الأندلس
47	3- مع السودان
51	4- مع دويلات المشرق
56	خاتمة
59	المصادر والمراجع
	فهرس